@ULOSEA233
www.liilas.com

٥٥٧

557

HARLEQUIN

حورية بحر الجليد

ريبيكا كينغ

.750

٥٥٧

557

دار م. النحاس

حورية بحر الجليد

ريبيكا كينغ

حورية بحر الجليد

ريبيكا كينغ

لماذا يصر ذاك الصوت الصغير في عقل كاثرين على القول ان نيكولاس اكثر من مجرد تسلية؟ بإثارته ناراً متاججة في اعماق قلبها كان سحر نيكولاس على كاثرين اقوى من أي وقت مضى. وحقيقة انها مخطوبة لآخر وان لنيكولاس اهتمامات أخرى زادت من حدة عذابها ومن تصميمها على عدم الابتعاد والتشاغل عن مهمتها قيد انملة.

سوريا: ٦٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١دينار - قطر: ١٠ دراهم - السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١,٥ دينار - المغرب: ٨درهم مغربي - سلطنة عمان ١ ريال - تونس: ٢ دينار

«سالتك ما الذي تفعله هنا؟»

«اخبرتك انني انتظرك.» رد نيكولاس وهو يهز كتفيه متابعاً: «عرفت انه لن يمضي وقتاً طويلاً قبل عودتك للمطالبة بميراثك.»

التوى فمه بازدراء وهو ينطق كلماته الأخيرة فهتفت هي بعنف: «ما ادراك بهذا الشأن؟»

«ستكتشفين ان الاخبار حول الثروات المفاجئة تنتشر سريعاً في سكايثوس.»

«لا أرى لميراثي أي علاقة بك.»

«على العكس يا كاثرين، اظنك ستكتشفين ان له اكبر علاقة بي.»

الظمني للنشر والتوزيع
Tel.: 3727895 3719972
www.liilas.com

الفصل الأول

لم يكن المفتاح تحت أص زهور البنفسج حيث يتركه جدها عادة. كانت لاتزال تبحث عنه حين سمعت صوت الباب يفتح خلفها، استقامت واستدارت وهي ترمش بعينيها تحت شمس المساء الباهتة ورأت خيال شخص عند عتبة الدار.

كان رجلاً هذا ما عرفته فوراً، رجل طويل القامة عريض المنكبين. لعله المسؤول عن المنزل. لكن لم تذكر رسالة المحامي من بلدة سكايثوس أي شيء عن وجود مسؤول ما عن المنزل...

ابتسمت بارتباك وقالت: «كالسبيرا.» لكنها لم تلق أي رد.

للحظة واحدة فقط شعرت بالذعر ينتابها، من هذا الرجل؟ متشرد؟ احد محبي التسكع والتطفل من الذين يغزون الجزر اليونانية كل صيف ويغتنمون فرصة خلو المنازل من ساكنيها كي يأووا اليها ليلاً؟ ربما يكون كذلك... لكن عليها ان توقفه عند حده فذاك افضل. هزت كتفيها وصعدت درجات الشرفة بتصميم.

ثم رددت: «كالسبيرا.» أيضاً لم تلق ردا.

انتابتها موجة من الغضب الآن، من يعتقد نفسه هذا الرجل، وما الذي يفعله هنا برأيه بوقوفه بعجرفة عند عتبة دارها؟ وفكرت هل تتكلم بالانكليزية ام باللغة اليونانية.

قالت بنبرة حانقة: «ما الذي تفعله هنا؟»

www.liilas.com ousha 233
OUSHA233
www.liilas.com

«انتظرك بالطبع يا كاثرين. والا فلم اكون هنا أصلاً؟»

سحبت انفاسها ببطء لسماعها الصوت الكسول النبرات الهادىء، كان الصوت كما تتذكره تماماً، عميق، مثير ومغلف بدفء اليونان المشرقة لكن مع طبقة رقيقة من السخرية. انه صوت رجل الآن لا صوت صبي.

«نيكولاس؟»

كان هذا الاسم كل ما استطاعت كاثرين التفوه به. فقد جفت حنجرتها فجأة فيما هي تحدق به وقد لف نفسه بذاك القناع الغامض الذي تذكره تماماً عنه ووصل تأثير ذلك اليها فتجمدت على قمة السلالم. من بين كل الناس على جزيرة سكايثوس هو من تراه أولاً... توقفي عن هذا، عنفت نفسها بشدة. فطوال فترة سفرها بالطائرة كانت تتمنى ان يكون هو أول من تراه هنا، أليس كذلك؟ لا غير صحيح ردت على نفسها بقوة واظافر اصابعها تنغرز براحة يدها اليسرى لدرجة شعرت معها ان حجر الألماس في خاتم خطوبتها يكاد يقطع جلدها.

بدا اطول قامة مما تذكر، وقد تحول الجسد النحيل إلى جسد رجل رياضي، قوي وبدا اكثر وسامة من الحلم الذي كان يراودها احياناً خاصة حين تكون محبطة أو حين تتخاصم هي وجوليان خطيبها، ذاك الحلم الذي وبعد مرور ثماني سنوات لازال يقض مضجعها احياناً ويوقظها من نومها بإزعاج...

كان يقف مكانه ناظراً اليها ويديه في جيبيه. نظرت في عينيه الزرقاوين ثم رمشت بعينيها واشاحت ببصرها عنه

قائلة بصوت كان مرتفعاً اكثر من اللازم رغماً عنها: «لم اعرف انك ستكون هنا.»

رد بنبرة ساخرة: «بالطبع لم تكوني تعرفين، لكنها رغم ذلك مفاجأة سارة بالتأكيد.»

ردت بجمود:

«انها مفاجأة دون شك، لكني سألتك ما الذي تفعله هنا.»

«واخبرتك انني بانتظارك.»

«لكن لماذا؟»

رفع كتفيه قائلاً: «علمت ان الوقت لن يطول بك قبل المجيء للمطالبة... بميراثك؟»

التوى فمه بازدراء وهو ينطق كلماته الأخيرة فهتفت بعنف: «وما أدراك بهذا الشأن؟»

«ستجدين ان اخبار الثروات المفاجأة تنتشر بسرعة في سكايثوس.»

ازدادت نبرته سخرية فردت كاثرين بحدة: «لا أرى لميراثي كما قلت، أي علاقة بك.»

«على العكس يا كاثرين، اظنك ستكتشفين ان له علاقة بي.»

حدقت كاثرين به بذهول، في المرة الأخيرة لم يستخدم نيكولاس معها هذه النبرة، لم يسبق له ان نظر اليها ابداً نظرة العدائية هذه، ما الذي حدث في السنوات الثمانية الماضية كي يجعله يتغير كلياً هكذا؟ ام ان السبب يكمن بها هي؟ هل تغيرت هي كثيراً لدرجة رؤيتها للناس على حقيقتهم لا عبر ضباب المراهقة الزهري؟ لعلها ترى

نيكولاس الحقيقي للمرة الأولى الآن. لعلها رأت لمحة سريعة من هذا النيكولاس حين غادر آخر مرة كانا معاً بقسوة ودون كلمة وداع حتى. لكن حتى رغم ذلك... لتحاول إخفاء تألمها من هذا قالت بغرور: «لا يحق لك مكالمتي بهذه الطريقة لكني سأكون ممتنة لك ان اوضحت لي ما الذي يجري.»

«ان كنت لا تعرفين بعد يا كاثرين...» بدأ كلامه ولم يحاول إخفاء عدم تصديقه للجهل الذي تدعيه وتابع: «سأكون اكثر من مسرور لشرح الاوضاع لك. تفضلي بالدخول.»

وانحنى لها بمبالغة مصطنعة مشيراً إلى الباب. ايعقل هذا؟ انه يدعوها لدخول منزلها وكأنه هو مالك المكان! لكنها لن تتأثر بهذا.

ردت: «شكراً لك.» رفعت رأسها بشموخ ودخلت المنزل. كانت غرفة الجلوس كما تذكرها تماماً، مريحة غير مرتبة بتلك الرائحة المميزة لأكواز الصنوبر المعلقة على حافة النافذة الكبيرة برائحة الدخان.

مجموعة غلايين جدها كانت مرتبة على الرف قرب الطاولة التي عليها الآلة الكاتبة التي كان يستخدمها جدها لطبع كتب رحلاته.

تناولت واحداً من الغلايين وشمت رائحته. بدا وكأنه وضعه هنا للتو ودخل الغرفة المجاورة. اعادت الغليون إلى مكانه واستدارت لترى نيكولاس يراقبها بذات الوجه الخالي من التعبير الذي استقبلها به.

فقالت: «لم اكن أدري انك تعرف جدي.»

«سبق وتقابلت مع جيرالد العجوز. كان صديقاً لوالدي في الواقع، صديقاً يشاركه احتساء الشراب.»

«فهمت.» ردت كاثرين. ولتحاشي النظر لتلك العينين الباردتين، جالت ببصرها على الغرفة وتابعت: «لم تتغير الغرفة عما كنت عهدته في الماضي، آه، باستثناء تلك المرآة.»

واشارت إلى مرآة ضخمة الإطار معلقة على الحائط. كانت قديمة وتفتقر للمعان الزجاج الحديث لكنها تعكس بجمال صف المزهريات الصينية الملونة المواجهة لها.

قال: «اخبرني انه وجدها في سوق في اسطنبول، مع انها صنعت مبدئياً لتكون في قصر كما يبدو.»

سألت بضحكة: «حقاً؟»

أجابها بسخرية: «أجل. صنعت لعكس الجمال المواجه لها. انظري.» وقبل ان تتمكن كاثرين من التراجع وضع يديه على كتفيها وقادها عبر الغرفة مجبراً إياها على الوقوف امام المرآة. واطل شكل عليها في ضوء المساء الشاحب المتسلل عبر النافذة والذي التمع على وجهها وملامحها الناعمة وعينيها الخضراوتين الواسعتين وترك بريقه على شعرها البني الفاتح المرفوع بتسريحة كلاسيكية.

لكنها بالكاد كانت ترى انعكاس صورتها هي بل كانت ترى فقط صورة الرجل الواقف خلفها مباشرة. حين كان نيكولاس في سنته العشرين كان بالغ الجاذبية والآن بعد مرور ثماني سنوات تحولت تلك الجاذبية إلى فتنة وسحر رجولي طاغ، كان وجهه اكثر نحولاً لكن هذا اظهر بوضوح

www.liilas.com

اكبر جمال ملامحه اليونانية الكلاسيكية ذات البشرة السمراء البرونزية.

الآن اضحى وجهه مليئاً بالتناقضات، قسوة هائلة لكن أيضاً جاذبية حسية طاغية في عينيه الباردتين وكثافة رموشه السوداء الطويلة.

كل ما استطاعت رؤيته كان شعره الداكن وشيء بارد، لا بل خطير يبرق داخل عينيه، كل ما استطاعت الشعور به هو قوة جسده خلفها فيما يديه تمسكان بكتفيها بقسوة ودفء راحتيه تتسلل إلى بشرتها عبر سترتها الحريرية الرقيقة، وكل ما استطاعت الاحساس به كان العطر الرجولي الدافء لهذا الرجل الذي يحيط بها كهالة من السحر، كانت تحس وجوده بقوة لدرجة ان انفاسها كانت مكتومة بذعر داخلها.

قال وانفاسه تداعب شعرها: «مرآة قديمة كهذه... مفروض بها أيضاً كشف حقيقة من يقف امامها. اتساءل يا كاثرين ما الذي ترينه بداخلك في العمق؟»

«انا...» بدأت وشعرت بنفسها مسمرة بصوته وحدقت بعينيها اللتين تنظر اليهما عبر المرآة وللحظة فقط برق شيء ما في اللون الأخضر كأنه حصاة ترمى على سطح بحيرة ما.

أنزل يديه على جانبيها ووصل بهما إلى خصرها واوراكها الرشيقة.

وقال برقة: «لقد فقدت الكثير من وزنك يا كاثرين.»

فقالت: «أجل، لكن ليس بالكثير.»

جاءت كلماتها واهية وهو يرفع يدها وينظر إلى معصمها النحيل والعروق الزرقاء الخفيفة الظاهرة تحت

بشرتها الرقيقة. ووضع ابهامه على نبضها الذي تسارع بشكل جنوني للحظات.

سحبت يدها من يده بسرعة وقالت: «على كل حال كنت مريضة. اصبت بالأنفلونزا الشديدة الشتاء الماضي.»

«ولم تشفي كلياً منها بعد؟»

«شفيت منها منذ فترة قصيرة فقط.»

لكن صوتها بدا ضعيفاً فجأة وكأنها لازالت على سريرها في شقتها بلندن محاطة بالوسائد الوثيرة وتشرب كوب الحليب الساخن. وبما انها شعرت بالدوار الخفيف الآن فقد تهالكت على اقرب كرسي منها.

قال: «اترغبين بكوب من العصير؟ لا بد أن هناك زجاجة ما في المطبخ.»

احمرت وجنتاها للنبرة الساخرة التي عادت لتبطن كلماته وقالت: «لا شكراً لك، افضل الشاي.»

ابتسم باقتضاب وقال: «آه، أجل، لقد نسيت هوس البريطانيين بالشاي، الذي هو العلاج الناجح لأي مناسبة تسبب التوتر.»

جلست كاثرين على الكرسي وعينيها شبه مغمضتين وهي تستمع إلى الأصوات الصادرة من المطبخ، يبدو وكأنه في منزله، فكرت بامتعاض وتذكرت انه لم يشرح لها بعد سبب تواجده هنا في منزل جدها الذي اصبح الآن منزلها...

فور وضعه الصينية على الطاولة الخشبية المنخفضة سألته باختصار: «اكنت تأتي إلى هنا غالباً لرؤية جدي؟ فأنت تبدو وكأنك تعرف كل شيء في المنزل.»

أجاب: «كنت آتي إلى هنا بالمناسبات اجل. لكني اعرف

www.liilas.com

كل شيء هنا الآن لأنني حالياً اعيش هنا. اتريدين الحليب مع الشاي؟»

«أجل من فضلك.» ردت بصوت منخفض ثم حدقت به وهتفت: «أنت...؟» فتحت عينيها من الصدمة وهي تتابع: «انت تعيش هنا؟ اتقصد... اتقصد انك المسؤول عن المنزل بغيابي؟» لكن مجرد فكرة ان يكون هذا الرجل مسؤولاً عن شيء يخصها كانت فكرة غير معقولة... وان يكون موظفاً عندها؟ هذا مستحيل.

كانت حينها لتدفع له اتعابه اضافة لأي مبلغ يدين جدها له به. كان شهر ايار (مايو) على وشك البدء لذا فبإمكانه ايجاد أي عمل آخر لأن موسم السياحة قد بدأ. لكن بأي حال عليه المغادرة والآن!

اخذت نفساً عميقاً وهدأت من روعها. فهي بالطبع لم تعد المراهقة الضعيفة ابنة الستة عشر ربيعاً التي يسهل التأثير عليها والتي كما يبدو لايزال يعتبرها كذلك. كانت الآن امرأة عصرية هادئة وذكية.

لكن رغم ذلك... رمته بنظرة سريعة وهو يقترب منها مقدماً اليها فنجان الشاي ورأت ميدالية ذهبية تدلي من صدره تحت بلوزته السوداء. بالطبع هذه ميدالية كريستوفر الذهبية ذاتها؟ كان قد اخبرها انها هدية ذكرى مولده للسنة الأولى. وتذكرت ذاك اليوم فيما كانا مستلقيان على الشاطىء في ظل اشجار النخيل ويغرزان اصابعها بالرمل الذهبي. فك هذه الميدالية للحظات كي يريها إياها ووعدها بشراء واحدة مماثلة لها. لكن ذاك اليوم كان اليوم الأخير ولم تعد تراه من حينها...

اجل، عليه المغادرة بالتأكيد. فبعد كل شيء ما الذي سيقوله جوليان ان عرف انها احضرت معها، الى فيللا معزولة على بعد اميال من اقرب مكان سكين، رجلاً يونانياً وسيما؟ تناولت بسرعة فنجانها منه وهي ترمقه سراً بطرف عينها. تمدد على الكرسي الخشبي الكبير وبدا اكثر استرخاء وراحة منها مع انها في منزلها هي، كان يحمل كوب شراب كرز بين يديه... تلك اليدين الجميلتين القويتين...

قالت بجفاف: «يجب ان تخبرني بكم ادين لك.»

رفع حاجبيه مردداً: «كم تدينين لي؟ بأي طريقة يا كاثرين؟»

كان يضعها في موقف حرج مجدداً فقالت بصوت ارادته هادئاً ومتزناً: «حسناً، اظنك كنت تعتني بالمنزل تبعاً لتعليمات جدي، أو لعل محاميه فكر بتوظيفك؟ في كلا الحالتين ان اعطيتني رقم حسابك المصرفي فسأتمكن من...»

قاطعها قائلاً برقة: «آه. اظنك اسأت فهم الأمر. لكنه سوء تفاهم بسيط يمكن تصحيحه بسهولة.»

وضعت فنجانها على الطاولة وسألت: «آه حقاً؟ وما هو سوء التفاهم ذاك؟»

أجابها بتهكم وثقة: «كما ترين يا كاثرين. فيللا آنجيليكا ملكي أنا.»

شهقت بذهول وقالت: «ما الذي تقوله؟ بالطبع هي ليست ملكاً لك...» سكتت قليلاً وحين لم يرد بشيء تابعت وهي تشدد على كل كلمة: «إن هذا منزل جدي. لقد بناه قبل ثلاثين

www.liilas.com

سنة وحين مات تركه لي، لحفيدته الوحيدة وهذا مذكور في وصيته.»

قال بصوت هادىء فجأة: «آسف لخيبة املك. لكن وصيته غير صالحة.»

«غير صالحة؟» رددت بدهشة.

اجاب بهدوء: «بالضبط.»

شرب ما تبقى في كوبه ووضعه على الطاولة بحركة متعمدة. آن الوقت لوضعه عند حده. تناولت حقيبتها عن الارض وعبثت بمحتوياتها ثم اخرجت مغلفاً أزرق. وقالت: «الوصية معي هنا وكذلك رسالة من محامي جدي. وهو يدعى السيد جونايدس.»

مد يده البرونزية اليها وسأل: «هل لي بالنظر إلى الورقتين؟»

فتحت المغلف بصمت وناولته الوثائق.

«في الواقع، الوصية هذه نسخة عن الأصلية. لازالت النسخة الاصلية مع السيد جونايدس، لذا...»

تركت جملتها دون تكملة عمداً لكنه ابتسم بخبث ابتسامة الثعلب الماكر.

وقال: «إذن فلا جدوى من عناء تمزيقي لها؟»

ردت بجفاف: «شيء من هذا القبيل.»

نظر سريعاً إلى الأوراق ثم اليها.

قال: «لكن اترين، لا حاجة لي لتمزيق هذه الوصية.»

ورمى الأوراق بازدراء في حضنها.

فسألته: «آه، ولماذا؟»

«لأنها لا تساوي الورقة المكتوبة عليها.»

«ماذا؟» هل هو مجنون ام انها هي المجنونة؟ «لا تكن بالغ...»

قاطعها قائلاً: «لا فائدة يا كاثرين. اخشى انه في هذه اللعبة بالذات...»

جاء دورها لمقاطعته بالقول: «لعبة؟ لا العب أية لعبة...»

تابع متجاهلاً مقاطعتها: «انا من يمسك بكل الأوراق الرابحة بما في ذلك ورقة الآص.» وتناول من جيبه فعلاً ورق لعب ووضعه امامها على الطاولة فوق الوصية متابعاً «آص الكبة.»

حدقت بالورق بدهشة وغضب.

تمالكت اعصابها وسألت: «حسناً، ماذا إذن؟»

«اقلبي الورق على الجهة الأخرى.»

فعلت كاثرين ورأت كتابة باليونانية وتحتها ثلاثة توقيعات، احدها توقيع جدها ثم كان هناك تاريخ محدد شهر شباط (فبراير) من السنة الفائتة، حدقت بذاك التوقيع والجمود يعتريها وحين رفعت نظرها وجدت نيكولاس يحدق بها.

ناضلت لإبقاء صوتها خالياً من أي شعور وهي تسأل: «ما المكتوب هنا؟»

«انه يوافق على منح فيللا آنجيلكا وبستان الزيتون المحيط بها والشاطىء امامها إلى كوستاس ديمتريوس.»

«كوستاس؟»

«أبير.»

هزت رأسها بذهول تام وقالت: «لكني لا افهم.»

www.liilas.com ausha283

رد قائلاً: «ظننت هذا واضحاً كفاية، والدي هو المالك الشرعي الآن لهذا المنزل.»

«ماذا؟» هتفت به وعيناها جاحظتان بذعر لكن حين واجهت التحدي الجلي في عينيه الداكنتين اشارت إلى ورقة اللعب متابعة: «مع افتراضي ان المكتوب باليونانية هنا هو ما قلته فعلاً... وطبعاً لا سبيل لي لمعرفة ذلك الآن، أليس كذلك؟»

قطب حاجبيه بتهديد فسارعت لتتابع: «فلماذا هو مكتوب على ورقة اللعب هذه؟»

«لأن أص الكبة هذا بالذات هو الذي جعل والدي يفوز بالمنزل.»

«وما كان سبيله إلى ذلك بالضبط؟»

أجابها: «اخبرتك انه وجيرالد كانا صديقين قديمين كانا يقضيان معظم الامسيات معاً في المقهى يتحدثان، ويتسليان بلعب الورق. وبإحدى الأمسيات اقترح جدك على ممتلكات كل منهما. فعلاً، كان هو من اقترح ذلك وكان هو من خسر.»

مرت فترة صمت طويلة وهي تحدق به فاغرة فاهها. ثم قالت: «انا لا اصدقك.»

هز كتفيه بعدم اهتمام واشار إلى ورقة اللعب قائلاً: «هاك الدليل.»

«بضع كلمات غير قانونية على جهة ورقة لعب؟»

«موقع عليها من قبل المالكين وهناك توقيع الشاهد على ذلك. وهو المدعو ميخاليس تريبو وهو زبون دائم في المقهى.»

«وهو احد رفاق والدك على الأرجح.»

«في الواقع هو كان صديقاً لجدك في ذلك لا لأبي.» رد ببرود وتابع: «وهذه الورقة تحمل تاريخاً يسبق تاريخ وصيتك بستة اشهر كاملة.»

قالت: «يا لهذا الهراء.» وضحكت بازدراء واستخفاف متمنية ان تبدو واثقة اكثر مما تشعر به حقاً وتابعت: «يجب ان احذرك، ان اصريت على هذا الإدعاء السخيف فسأضطر لمجابهتك في قاعات المحاكم.»

رد ببرود: «هذا شأنك، لكن لربما عليك معرفة هذا، صباح اليوم التالي عرض والدي على جدك نسيان الأمر برمته.»

ردت بارتياح: «آه، لا بأس، بتلك الحالة لا مشكلة إذن.»

«لكن جدك تابع تصرفه كرجل نبيل يلتزم بكلمته ورفض عرض ابي، وبتلك الحالة، انا لست والدي.»

شعرت بالأرض تميد تحتها مجدداً وجاهدت للحفاظ على رباطة جأشها وهي تسأله «حسناً وما علاقة هذا بك أصلاً؟ سأذهب لرؤية والدك في الصباح. يبدو اقل عناداً من ابنه.»

رأت قبضته تتكور في حضنه والقساوة تظهر على وجهه لكن كل ما قاله كان: «انتقل والدي إلى اثينا بسبب صحة والدتي المتوعكة وقد تركني كمسؤول عن شؤونه في سكاثيوس.»

«للأسف.» تمتمت بتهكم لكنه هذه المرة تعمد تجاهل قولها.

«رغم هذا الاتفاق ظل الاثنان صديقين واصر والدي على

ضرورة بقاء جيرالد في المنزل طيلة حياته. الشيء الوحيد الذي وعد به جدك بالمقابل هو تغيير وصيته وهذا وعد من الواضح لم يكن ينوي الوفاء به.»

اشتد غضب كاثرين وقالت: «لو كان قد اعطى ذاك الوعد فعلاً لالتزم به. وان كان لم يفعل فالأرجح انه فعل لإدراكه انه تم خداعه بالايقاع به مع والدك المخادع.»

شهقت برعب حين نهض نيكولاس عن كرسيه بغضب لسماعه شتمها لوالده ووجدت نفسها رغم ذعرها تحدق بصدره الذي يعلو ويهبط بقوة مظهراً قوة عضلاته.

«كاثرين.»

لم يحاول الاقتراب منها أو لمسها لكنها تراجعت بسبب قوة نبرة صوته وحدتها. للحظة اجبرت نفسها على النظر اليه لكنها عادت لتركز بصرها على الميدالية الذهبية حول عنقه.

«أجل؟»

«عادة لا اعطي الناس فرصة ثانية... لكنك مجنونة، غريبة وقد اصبحت امرأة... نوعاً ما.» وشعرت بنظره ينتقل بازدراء من رأسها حتى بنلتها الرسمية حتى حذائها ذي الكعب المنخفض وتابع: «لكن ان حاولت تلطيخ شرف عائلتي مجدداً، فسوف...»

قاطعته بصوت حاولت جعله عنيفاً لكنها لم تنجح: «ستطردني من الجزيرة مغلفة بالعار على الا اعود اليها أبداً ثانية؟»

«لا.» قال ورفع ذقنها اليه لتواجهه واصابعه على بشرتها: «بل سأعاقبك بنفسي.»

حدقت في عينيه والغضب الجامح يلتحم مع الخوف داخلها. لم يرفع صوته بها ولا مرة واحدة وكل السلاح الذي يملكه مجرد ورقة لعب قديمة لكنها رغم ذلك تشعر بسيطرتها على الوضع تتبخر دون عودة. لكنها لن تسمح له بإخافتها.

فقالت بتحدي: «حقاً؟ اتطلع بشوق لذلك.»

رمته بنظرة متحدية أيضاً وتأوهت بداخلها لأن اصابعه انغرزت في لحم ذقنها للحظة. لكنه فجأة تركها واتكأ إلى الحائط واضعاً يديه في جيبيه وكأنه يمنعهما من القيام بشيء آخر.

ظلت كاثرين جالسة مكانها للحظات واصابعها تطرق بصمت على خشب كرسيها. اخيراً قطعت حبل هذا الصمت الثقيل وقالت: «هناك طريقة واحدة لتسوية هذه المسألة سأعود إلى بلدة سكايثوس لمقابلة السيد جونايدس الآن فوراً.»

تناولت حقيبتها الجلدية ونهضت.

اوقفها بقوله: «لكن بالطبع سنذهب إليه لكن ليس هذه الأمسية.»

نظر إلى ساعة معصمه متابعاً: «سنراه غداً، آسف لتكبدك عناء السفر إلى هنا دون جدوى.»

ردت قائلة: «لا على الاطلاق. اخشى انك انت من سيصاب بخيبة أمل.»

«اتعتقدين ذلك؟» سألها وهو يبتسم بخفة ثم اضاف بصراحة وكأنه سئم من الموضوع الممل: «كيف وصلت إلى هنا؟ استأجرت سيارة؟»

«لا، بل اتيت بسيارة اجرة من المطار إلى هنا.»

«لم أرها..»

«دفعت له ونزلت عند أسفل التلة.»

قال بحقد: «كي لا يشاركك احد نظرتك الأولى إلى ميراثك كما اظن.»

كانت نبرته مغيظة بتعمد لكنها تجاهلت التقاط هذا الطعم وردت ببرود: «في الواقع لم يرغب سائق السيارة بالتعرض للمشاكل لابتعاده عن خط سيره المحدد على الطريق العام.»

مع ان نيكولاس كان محقاً في الواقع. فهي ارادت ان تسير وحدها عبر بساتين الزيتون التابعة للفيلا، لتعيش مجدداً اللحظات الساحرة لآخر صيف قضته هنا، لكن هذا النيكولاس البالغ القسوة والبرودة لن يفهم ذلك ابداً.

«فهمت.» قال وهو يتفحصها بنظره للحظات متابعاً: «اخشى ان جيرالد رفض بعناد وضع هاتفاً في منزله، لذا سأنزل إلى القرية لأطلب لك سيارة أجرة.»

سألته بجفاف: «لماذا؟»

«سترغبين بايجاد غرفة في بلدة سكايثوس لقضاء الليلة أو لايجاد غرفة شاغرة في فندق ما، هناك العديد من الفنادق الجيدة على الساحل الجنوبي.»

التقت نظراتهما وتشابكت للحظة طويلة مشحونة ثم دون التفوه بكلمة أخرى نهضت كاثرين بتعمد وغادرت الغرفة إلى الشرفة ثم نزلت درجات السلالم متجهة إلى حيث تركت حقيبة ملابسها.

فيما هي ترفع الحقيبة عاد صوت جدها ليتردد في اذنيها وهو يقول:

«آه حبيبتي لا تقللي من قيمة نفسك بتبادل الكلمات النابية مع فلاح دون مبادىء.» وغمرتها رغبة جامحة للهرب من هذا المكان، لكن حين استدارت ورأت نيكولاس ينظر إليها بعينيه الساخرتين ومتكئاً إلى باب المنزل عاد الغضب ليجتاحها.

انه بالغ الثقة بنفسه لدرجة الغرور، اليس كذلك؟» امسكت بحقيبتها بقوة وسارت صاعدة الدرجات مجدداً.

قالت بثقة: «عذراً من فضلك.»

لكن عوض الابتعاد عن طريقها بأدب وضع ذراعه على الباب مانعاً اياها من الدخول وسأل: «وما الذين تعقدين انك فاعلة؟»

«لا اعرف الكثير عن القوانين اليونانية، لديكم قوانين هنا بالطبع، اليس كذلك؟» اضافت بعذوبة لكن بعد نظرة واحدة إلى عدائية نظرته الجليدية عادت ببصرها إلى حقيبتها وتابعت: «لكن في انكلترا التملك تسعة اعشار القانون، آسفة لكن لا نية لدي اطلاقاً بالهروب، والاستسلام تاركة لك العشر الباقي، لذا فسأبقى.» وضربت ساقه بحقيبتها.

نظر إلى الحقيبة للحظات ثم استقام قائلاً: «لا بأس، بإمكانك ان تكوني ضيفتي.»

«لست ضيفتك...»

«وسأرشدك إلى غرفتك.»

أجابته بغضب: «شكراً جزيلاً، لكن لا داع لذلك. فانا اعرف الطريق اليها.»

شدت على حقيبتها اكثر وعبرت غرفة الجلوس ومنها

إلى الممر الذي يؤدي إلى غرفتها القديمة، الغرفة التي بناها جدها لها خصيصاً بشكل فوضوي كبقية الزيادات في هذا المنزل.

فتحت باب الغرفة ثم تجمدت مكانها وبنظرة رعب لاحظت وجود محتل فيها... كان على السرير قميصاً أبيض اللون وبنطال جينز معلق على الكرسي المجاور للسرير وحذاء رياضي أبيض قربه.

سمعت خلفها تعليق نيكولاس المتكاسل: «يا للروعة. لم ادرك يا كوكولا انك بانتقالك إلى منزلي ستشاركيني سريري أيضاً.»

تأوهت بداخلها فبسبب اضطرابها فتحت باب الغرفة التي إلى اليمين بدل باب غرفتها التي إلى اليسار، رفعت حقيبتها مجدداً واستدارت غاضبة والأحمر القاني يلون وجنتيها.

قالت بغيظ عبر اسنانها المصطكة بارتباك: «آسفة، هذه غلطتي.» ودفعته بعيداً قبل ان تفتح باب غرفتها الحقيقية.

أجل، هذه هي غرفتها. كما تذكرها تماماً، وكأن جدها احتفظ بها لها نظيفة ومرتبة متوقعاً وصولها بأية لحظة. شعرت بغصة بسيطة في حلقها وهي تنظر حولها إلى السرير الصغير، خزانة الادراج الصغيرة قربه والتي صنعها النجار كريستوس ـ نجار القرية ـ خصيصاً لها ولونها بالزهري والورود البيضاء الصغيرة، إلى الأرض الخشبية المصقولة المغطاة بوسطها بالسجادة الصينية الملونة القديمة التي بهتت الوانها بعض الشيء والذي احضرها

جدها معه من الصين قبل سنوات وسنوات. كل شيء كان على حاله باستثناء ان احدهم قد وضع بأحد زوايا الغرفة عدة لوحات زيتية لم تكتمل بعد.

قال: «آسف بهذا الشأن، سأنقل اللوحات فوراً.»

سألته بسرعة دون تفكير: «إذن لا زلت ترسم؟»

فرد قائلاً: «بالطبع. اخبرتك انني اريد ان اصبح رساماً قبل ثماني سنوات، اليس كذلك؟»

كان هذا السؤال أول ما تفوه به احدهما بالعودة إلى الماضي، ازدادت زرقة عينيه لتلك الذكرى ثم خفض نظره وكأنه عاجز عن الاحتفاظ بنظرته المتحدية. ولاحظت كاثريت انتفاض عرق رقبته بقوة... رغم النسيم العليل الذي كان يتسلل من النافذة المفتوحة الا انها كادت تشعر بالاختناق. فرمت حقيبتها على السرير وقالت دون ان تنظر اليه:

«ان كنت لا تمانع أرغب بتنشق بعض الهواء المنعش.»

«هل أكلت؟» سأل دون ان يتحرك من مكانه على الباب مانعاً إياها من مغادرة الغرفة. «تناولت العشاء في الطائرة.»

سألها بملل ونفاد صبر: «قلت هل أكلت؟»

ردت: «كان الطعام جيداً بالفعل.» واجبرت نفسها على تجاهل رجفة احست بها.

قال بنبرة آمرة لا دعوة: «ستنضمين إليّ لتناول العشاء.»

ردت بصرامة: «شكراً لك لكني لن افعل، سأنزل إلى المقهى. والآن عن اذنك.»

www.liilas.com

تنحى مقدار نصف انش فقط وتلامست ذراعيهما وهي تمر قربه مغادرة الغرفة.

شعرت وكأن نيرانا لاهبة لسعت ذراعها ودون ان تنظر اليه تابعت سيرها وغادرت المنزل، احست بذراعها لا تزال تحترق لكنها لم تتوقف لتمسيدها الا بعد ان ابتعدت عن المنزل الذي اصبح خارج مجال الرؤية.

الفصل الثاني

كانت كاثرين قد قطعت نصف الطريق المنحدر قبل ان تخفف من سرعة خطواتها وتتوقف لترتاح قليلاً تحت ظل شجرة صنوبر وهي تبتسم، انها ناضجة الآن، امرأة عصرية ذات عمل مسؤول، لكنها رغم ذلك وامام نيكولاس ديمتريوس بالذات لازالت كما كانت طيلة ذاك الصيف الأخير مجرد فتاة مراهقة ترتجف على حافة شيء تجهله وتخشاه بشدة.

لا شك ان السبب بشعورها المشوش هذا الآن هو تعب السفر اضافة لتبدل الطقس بين الربيع الانكليزي البارد، والربيع اليوناني الدافىء وأيضاً هناك صدمة الطعن بوصية جدها.

اقنعت نفسها ان لا علاقة لنيكولاس بهذا الشعور اطلاقاً وتابعت طريقها بعد ذلك.

لكنها توقفت بعد قليل وعلت ابتسامة الدهشة ملامحها. فأمامها كانت تمتد الأرض المزروعة باشجار الزيتون والتي تعود لجدها. كانت الأشجار قديمة وجذوعها رمادية وضخمة لكن كانت الحشائش الخضراء اسفلها تموج بأزهار السوسن الصفراء والبيضاء، وكانت الأزهار المتنوعة والمختلفة الألوان تزين كل الأرض مانحة المنظر روعة قل مثيلها.

في المرة السابقة لم يكن لهذا الجمال البسيط الفاتن من

www.liilas.com ousha 233 OUSHA233 www.liilas.com

وجود، لكن في المرة الأخيرة التي كانت فيها هنا كان الصيف في آخره وتذكرت كاثرين صف اشجار الصنوبر على طرف هذه الأرض البعيد الذي يفصل بينها وبين بحر إيجه الأزرق الرائع.

الآن الصوت الوحيد الذي كانت تسمعه كان صوت الرياح بين اغصان الزيتون وكذلك صوت الامواج الآتي من البعيد وشعرت كاثرين فجأة بالدموع تترقرق في عينيها. هل كان جوليان على حق؟ سألت نفسها وهي تعض على شفتها السفلى، ام ان على هكذا جمال ان يبقى على حاله إلى الأبد؟ كان ليقول لها الآن، يا عزيزتي انت تتصرفين بعاطفة جياشة. وكان ليهز رأسه وتلك الابتسامة الصغيرة تعلو وجهه...

كان الشاطىء كما تذكره تماماً، اشجار الصنوبر على طرف والصخور الشاهقة على الطرف الآخر. ومع ان الشمس قد غابت تقريباً لكن الرمال لازالت تحتفظ بحرارة النهار التي تسللت اليها، فهي كانت تضع الكثير من الملابس عليها وفكرت بامتعاض انه هو السبب بهذا فيما كانت تخلع السترة عن اكتافها.

كان عليها الابتعاد عنه باقصى سرعة لذا فهي لم تجد الوقت لتبديل ملابسها.

بهذه اللحظة شعرت كاثرين انها لم تعد قادرة على تحمل ملابسها فخلعت حذائها ونظرت حولها وحين لم تجد احداً خلعت سترتها وبقيت بالبلوزة الخفيفة التي بلا اكمام ثم اتجهت نحو الماء. كان هذا شاطئاً خاصاً لا يرتاده احد ولا يقترب الصيادون منه واحياناً في الصيف كان يصل اليه

قارب فيه بعض الشبان من السواح وكان جدها يطالبهم بالمغادرة حين يزداد ضجيجهم ويمنعه من الكتابة. كانت المياه باردة ومنعشة وشعرت كاثرين بروعة المكان تلفها بأكملها.

هنا قابلت نيكولاس للمرة الأولى وحينها بدأت تلك الأيام السحرية. كانت تسبح وقد خرجت للتو من البحر حين ادركت ان احدهم يراقبها من مكانه قرب اشجار الصنوبر. وفيما تعثرت خطاها قليلاً على الرمال اقترب هو منها ببطء ووقف امامها بصمت وهو يحدق بها، مرت لحظات قبل ان يعرفها بإسمه، اخبرته باسمها ومدت يدها اليه لتصافحه...

الآن ظهر القمر الفضي وسط السماء فأدركت ان عليها العودة، بتردد استدارت ولمحت قرب الأشجار شيئاً أبيض اللون، وبعد لحظة سريعة ادركت ان ذاك الشيء الأبيض هو نيكولاس بقميصه الابيض.

تماماً مثلما حصل في الماضي، كان يراقبها لكنه لم يتقدم منها. لكن شيئاً ما جعلها ترتعش قليلاً ثم وكأنها في حلم وجدت نفسها تسير اليه ببطء، وكأنها تسير في نومها دون ان ترفع نظرها عنه.

حين وصلت اليه توقفت على بعد خطوة منه، كان وجهه في ظل الاشجار ولم تكن تعابيره واضحة، ثم وببطء شديد رفع يديه وامسك بكتفيها. ملمس راحتيه كان دافئاً على بشرتها فسارت إلى احضانه وكأنها تستيقظ من نوم دام لقرون.

حين رفعت وجهها اليه كانت أنفاسه دافئة على بشرتها،

www.liilas.com 233

كانت قبلته رقيقة، خفيفة وبطيئة لكنها كانت مثيرة جداً وشعرت بنبضات قلبها تتسارع بجنون واحست بنفسها تتجاوب معه بكل ذرة في كيانها.

حين تأوهت بعمق وحركت اكتافها تحت راحتيه لم يتغير طابع تلك القبلة الغريبة، وكأنه يسألها سؤالاً صامتاً كانت شفاهها وكل كيانها يجيبه بالايجاب، اجل، اجل...

ارتعشت قليلاً فيما عينيها كانتا شبه مغمضتين ثم فتحتهما، ما الذي تفعله؟ أي جنون يسيطر عليها؟

انتزعت نفسها بعيداً عنه ووضعت يدها على وجهها لتمسح قبلته ولتعود إلى الواقع. لم يسبق لها ان شعرت بهكذا ردة فعل من قبل، لم تشعر بهكذا رغبة ابداً حين كان يقبلها جوليان. ستشعر بهذا بعد الزواج بالتأكيد وهذا ما رددته لنفسها الف مرة، ستشعر بهذا مع زوجها فقط مع الرجل الذي تحب.

اخيراً تناولت حذاءها وسارت عبر الظلام نحو اشجار الصنوبر.

لحق بها في بستان الزيتون وسمعته يقول: «اهدأي وإلا تعثرت.»

كان صوته هادئاً لكنها شعرت بصدى شيء آخر في صوته، صدى جانبية ساحقة اخافتها.

«لا.»

لكنه أمسك بمعصمها بقوة منعتها من الافلات واجبرتها على السير ببطء قربه، رطبت شفاهها المرتعشة وقالت: «الأزهار جميلة، لم يسبق لي رؤيتها.»

«حسناً كان الوقت صيفاً حين كنت هنا آخر مرة.»

قال ذلك بلهجة عادية مغلفة بمسحة حزن، حين كنت هنا آخر مرة...

تلك الأيام البريئة الرائعة الساحرة وتلك الأمسيات، حين كان جدها ينزل إلى المقهى، حين كانت تسبح هي ونيكولاس ويبنيان القلاع الرملية ويلعبان التنس بقطعة خشب دائرية ثم يذهبان بنزهة على دراجته النارية القديمة حيث كانت تتمسك به وهو يقود الدراجة بسرعة على المنحدر.

كانت تلك هي البراءة بعينها... كان يقبلها بعض الأحيان، لكنها كانت قبلاً عادية على جبينها فيما هما ينزلقان على لوح التزلج المائي وذراعه حول كتفيها... باستثناء تلك الأمسية الأخيرة... تحت ظل اشجار الصنوبر كانت تفرك أنفه بالحشائش فيما هو نائماً وذراعيه تحت رأسه، فجأة فتح عينيه وحدق بها بقوة كأنه يراها للمرة الأولى. ثم نهض وامسك بوجهها وببطء اخذ يقبلها... كانت القبلة رقيقة في البداية إلا انها ما لبثت ان ازدادت حرارة وعمقاً، للحظة تعلقت به مستمتعة بما يجري لكن حين اشتدت قبضته حولها ابتعدت عنه وهي تشهق.

لم يأت في اليوم التالي ولا الذي يليه ولا الذي يليه مع انه تركها مودعاً بقوله: «اراك لاحقاً.» بالنسبة له كانت تلك الفترة مجرد فترة لهو مع فتاة انكليزية ساذجة. لا شك انه في ذلك الحين غرق في مشاكل مجهولة بالنسبة اليها ونسي كل شيء عنها...

انزعجت في هذه الذكريات ولإبعاد فكرها عنها قالت

ببرود: «اجل، بالطبع، كان عليّ معرفة ذلك فالأزهار كلها تذبل وتختفي قبل نهاية الصيف.»

توقفت للحظة واخذت نفساً عميقاً قبل ان تتابع: «ما هذه الرائحة العطرة؟»

«الزعتر البري.»

ترك يدها وانحنى في الظلام عابثاً بين أزهار البنفسج. حين استقام امسك بيدها ثانية وقال.

«تفضلي.»

شعرت بالنباتات بين يديها فرفعتها إلى أنفها وتنشقت عطرها.

قال لها: «عليك سحق الأزهار لاطلاق الرائحة.» وضغط اصابعه على اصابعها الممسكة بالأزهار لتصلها الرائحة الجميلة.

«انها رائعة، شكراً لك.» قالت بتلعثم واصابعها لازالت حارة جراء ملامسة اصابعه.

«بالنسبة لي انها رائحة اليونان، لو رميت على سفح أي من التلال القريبة ووضعت غلالة على عيني وشممت هذه الرائحة، لعرفت انني وصلت إلى منزلي.»

شبك اصابعه بأصابعها وقادها عبر الممر فيما هي بالكاد ترى امامها.

كان قد اضاء بعض الشمع على الشرفة ووضعها داخل المصابيح على الطاولة المعدة لتناول العشاء وشعرت بالغضب يتحرك بداخلها طارداً موجات العاطفة التي كانت متعلقة بها كالضباب الخفي.

قالت بصرامة: «اخبرتك انني سأتناول العشاء في المقهى.»

مد يديه امامه قائلاً: «لكن يا عزيزتي لا يفتح المقهى بمثل هذا الوقت الباكر من الربيع واكره ان تقومي برحلة أخرى دون أي جدوى.»

«حسناً، في الواقع انا لا اشعر بالجوع.»

قالت ذلك وهي تشعر بالاختناق لفكرة تناول العشاء معه على ضوء الشموع.

«كاثرين.» قال وادارها كي تواجهه متابعاً: «لقد اعددت الطعام وستتناولينه.»

«اخبرتك انني لست...»

قاطع كلامها قائلاً: «إن شئت ساترك لك حرية اختيار المواضيع التي سنتحدث بها، ان كان هذا يشعرك بالأمان اكثر وانت معي.»

قالت بكذب: «اشعر بالأمان الكامل معك.»

«هذا مؤكد.» وتابع بصوت مخملي لكنها ادركت انه كان يعرف الحقيقة وتابع: «لذا من فضلك اجلسي.»

قالت: «علي تبديل ملابسي، انظر.» ومدت قدمها المليئة بالرمال.

نظر إلى قدمها العارية بتعبير غريب ثم قال وعينيه لازالتا مسمرتين على قدميها: «لا داعي لتبديل ملابسك. تبدين فاتنة.»

سحب كرسياً وفيما كانت تجلس عليه تابع هو: «لكن هناك أمراً واحداً...»

وقبل ان تتمكن من الاعتراض ازال ربطة الشعر التي كانت تعقص بها شعرها إلى أعلى رأسها وانسدل شعرها الكثيف على كتفيها.

www.liilas.com

«لماذا فعلت ذلك؟» سألت بغضب وهي تعيد شعرها إلى ما خلف اذنيها.

«لأنني افضل رؤية شعرك هكذا.»

فيما كانت تبحث على شيء ما تربطه به شعرها اختفى هو داخل المنزل للحظات ثم عاد حاملاً صينية كبيرة فيها صحن سلطة يونانية ضخم وآخر يحوي لحوماً مبردة مع رغيف خبز محلي تذكرت طعمته اللذيذة جيداً وزجاجة مياه معدنية وكوبين وضع كل ذلك على الطاولة قبل ان يجلس على الكرسي امامها.

قال وهو يسكب الماء في كوبها: «والآن عم ترغبين ان تتكلمي يا كاثرين؟»

قالت بانزعاج: «ماذا عن... متى ستغادر منزلي؟»

«آه، ارجوك.» قال ذلك واضعاً يده على قلبه بحركة يونانية بحتة وتابع: «سبق وانهينا مناقشة هذا الموضوع. باستثناء نقطة واحدة ربما وهي كم تخططين للبقاء هنا؟»

«اخذت عطلة لمدة اسبوعين وهذه مدة كافية كما اظن لمعالجة هذه المسألة كلياً.»

«عطلة؟»

«اعمل في لندن في مصرف مشهور.»

«حقاً؟ وما هو عملك فيه بالضبط؟»

«اصبحت مساعدة مدير الحسابات منذ فترة قصيرة فقط.»

«تهانينا.»

«شكراً، يقول جوليان ان...»

«آه، اجل، جوليان الغالي.»

كانت يدها اليمنى على الطاولة فامسك نيكولاس بها ورفعها محدقاً بالخاتم الألماسي في اصبعها. رغم تصميمها على عدم اظهار أي ردة فعل الا انها ارتعشت رغماً عنها فرفع عينيه نحوها وترك يدها.

قال: «اخبريني عن جوليان.»

«انه يعمل في المصرف أيضاً، هكذا التقينا.»

«آه، فهمت. إذن كلاكما يعمل في وظيفة محترمة.»

«اجل.» ردت فوراً: «وما العيب بذلك؟ دعني اخبرك شيئاً هذا العمل افضل من التسكع دون عمل بقية حياتك.»

نظر اليها ورأت بريق السخرية في اعماقهما فتابعت بجفاف: «آسفة، لا شأن لي بذلك. لكنك كنت تحاول اغاظتي اعرف ذلك. وجوليان... شخص جيد.»

«أجل طبعاً، اذكر ان جيرالد اخبرني عنه.»

نظرت اليه لفهم مقصده لكنها لم تعرف شيئاً، لقد جاء جدها إلى انكلترا قبل حوالي سنة لمتابعة علاجه الطبي، وقد سعدت كثيراً برؤيته حينها لكنها ادركت رغم عدم تفوهه بشيء انه كان ممتعضا من مجال عملها، كما وانها ادركت رغم أدبه الشديد اثناء وجود جوليان معهما انه لم يعجب اطلاقاً بالرجل الذي اختارته ليكون زوجاً لها، وقد آلمها ذلك بشدة والآن معرفتها بإطلاعه نيكولاس على ذلك آلمها اكثر فاكثر.

«استلم جوليان فرع المصرف خاصته منذ ذلك الحين وهو واحد من اصغر المدراء في تاريخ المصرف.»

ادركت انها كانت تثرثر لكنها ارادت بيأس متابعة

www.liilas.com

التحدث عن جوليان وكأن ذلك سيبقيه مكانه خلف ضوء الشموع، فتابعت: كنا نعمل في فرع المصرف ذاته لكنه اقترح علي الانتقال فهو يفضل عدم عمل الرجل وزوجته في المكان ذاته.»

«هذا مؤكد.» رد نيكولاس بصوت هادىء.

لكنها جاهدت لتغيير هذا الموضوع فسألته: «إذن لازالت ترسم؟»

برقت عيناه للحظة تحت ضوء الشموع فأدركت انه عرف هدفها من تغيير الموضوع اجابها دون اهتمام: «كما رأيت.»

«هل تابعت أي دراسة اكاديمية؟ انكر انك...»

صمتت فجأة ثم تابعت: «كنت تتحدث عن الالتحاق بمدرسة رسم.»

«اتممت دراستي في اثينا، أجل.»

سألته: «ومن يشتري لوحاتك؟»

«السكان المحليون وفي الصيف ابيعها للسياح الاثرياء الذين يستخدمون المرفأ لرسو قواربهم.»

«أي نوع من اللوحات ترسم؟»

هز كتفيه وكأنه تعب من كل الموضوع وقال: «مناظر طبيعية على الأغلب، وارسم الناس حين يطلب مني ذلك فقط.»

«الناس؟ اجل، انا...» صمتت فجأة مجدداً وهي تشعر بارتباك اكبر وتابعت: «ومناظر طبيعية، تقصد مناظر طبيعية محلية؟»

«احياناً.»

قالت: «فهمت.» وفكرت بإقناع جوليان بشراء بعض لوحات تحمل مناظر سكايثوس لوضعها في منزلهما الجديد، مع ان فكرة وجود شيء من نيكولاس في منزلهما كانت تزعجها، لكنها قد تفعل ان كان بحاجة للمال...

وسألته بلباقة: «وهل انت... ناجح؟»

لسبب ما ابتسم مظهرا اسنانه البيضاء البراقة وقال: «انا لازلت حيا.»

انحنى إلى الأمام وقطع الخبز ثم وضع عليه الزبدة والمربى وناولها إياه قائلاً: «اخبريني يا كاثرين وسؤالي بدافع الفضول البحت فقط بالطبع، لنفترض انني لم اكن املك فيللا انجيلكا...»

قاطعته قائلة: «وانت لا تملكها فعلاً.»

«فما كانت مخططاتك لهذا المكان؟»

تردت وقالت: «حسناً...»

«اكنت ستأتين للعيش هنا على الجزيرة؟»

«بالطبع لا، كيف لي ان افعل ذلك؟»

«إذن كنت ستستخدمينها لقضاء العطلة فقط؟»

«ليس تماماً، لا.» رددت وهي تشعر فجأة بالتردد امام نظراته المخترقة.

لكن ما الفائدة؟ ما دخله هو في هذا فكرت بذلك وتابعت بصوت عادي: «في الواقع أنوي انا وجوليان تحويل المكان إلى استثمار سياحي.»

«حقاً؟» سأل بنبرة عادية بدوره: «اخبريني عن ذلك.»

«لا شيء بالغ الفخامة بالطبع. فأنا لا ارغب بإفساد المكان وتبديله كلياً.»

www.liilas.com

«بالطبع انت لن تفعلي.» وافقها بنعومة، بنعومة فائقة. لكن حين نظرت اليه كانت ملامحه صفحة بيضاء لا تعكس شيئاً مما يجول بداخله.

فقالت: «لكن جوليان يعتقد... اقصد نحن معاً نعتقد ان التخطيط الدقيق غير المتكلف هو الأفضل. لذا سنبني بعض الاكواخ الصغيرة، وحوض سباحة وملعب تنس...»

قاطعها بسؤالها: «واين كنتم تنوون بناء ذلك؟»

«فكرت في تلك المساحة عند بستان الزيتون.»

«وسط بستان الأزهار؟»

«اجل، لكني شاهدت الأزهار الآن ومن الواضح انني سأغير الموقع.»

لم يعلق على اقتراحها لكنها شعرت بنفسها تنحصر في زاوية الدفاع عن النفس مجدداً ولم يعجبها ذلك فتابعت: «لسنا ماديين. سيكون كل شيء مرهف الذوق. لدى جوليان صديق...»

قاطعها مجدداً: «صديق؟ انت تذهلينني.»

اشتدت اصابعها على كوبها لكنها قاومت انفجار غضبها وقالت بصوت جليدي: «لدى جوليان صديق يعمل في مجال تطوير المنشآت السياحية وهو...»

وفر عليها ما كانت ستشرحه وقال: «سيكون شريكاً بالوقت والعمل وانتم بالمال والأرض؟»

«اجل لكن كل شيء سيتم وفقاً للمستوى الممتاز، لن يكون هناك من يطوف في شوارع سكايثوس بحثاً عن الزبائن أو ما شابه. لقد اصريت... اقصد لقد اتفقنا على ذلك الأمر.»

«لقد أرحت تفكيري.»

قالت: «يسرني ذلك.» ثم رفعت نظرها اليه وتابعت: «انظر، من الواضح انك لا توافق على خططنا، ليس هذا من شأنك، لكن هل لي بتذكرك ان هذا سيؤمن فرص العمل لكثير من المواطنين المحليين هنا؟»

«ربما ضمن موسم السياحة القصير فقط.» قال بصوت جليدي لم يلبث ان تحول إلى صوت ناري وهو يتابع: «فيما كل المال الحقيقي يسحب إلى لندن إلى جيوب جوليان وصديقه. اتعرفين يا كاثرين... لقد تغيرت، لقد اصبحت امرأة طماعة وشريرة.»

مزقتها كلماته كالخنجر السام فصاحت بقوة: «اجل، بالطبع تغيرت، انا اكبر بثماني سنوات الآن والمشكلة فيك يا نيكولاس انك لم تتغير ولن تتغير ابداً، ستقضي كل حياتك مستلقياً تحت الشمس، بائعاً لوحاتك كلما استطعت للسياح الذين يملكون مالاً اكثر مما يملكون عقلاً.»

قال وكأنه لم يسمع كلمة مما قالت: «كما وانك تحولت إلى متزمتة صغيرة متمسكة برأيها الخاطىء. كان جيرالد محقاً بقلقه عليك...»

تأوهت قائلة: «حسناً لم يكن من داع له لذلك اؤكد لك هذا.»

«حتى انه كان يخشى من ان تصبحي نسخة مكررة عن والديك.»

سألته بحدة: «آه، حقاً؟ وما ضير ذلك؟»

«الكثير، تبعاً لجدك، لقد خاب ظنه بشدة بهما، كان يعتبرهما ضيقا الأفق وبارداً الاحاسيس.»

www.elibrary-arabia.com

«وهل خطر ببال جدي يوماً ان تزمت والدي هو رد فعل لنمط حياة والده عديم المسؤولية؟»

«اجل بالطبع مع ان ذلك لم يسهل على جدك تقبل الأمر. هل يحب والداك خطيبك؟»

حدقت به للحظات ثم توتر فمها وهي تقول: «بالطبع يفعلان، انهما معجبان جداً بجوليان.»

التوى فمه وهو يقول: «لا شك انه حين اطلعتهما على نبأ خطوبتك اخذك والدك جانباً قائلاً، عزيزتي كاثرين هذا شاب سيصل إلى قمة النجاح لقد احسنت الاختيار.»

«ليس هذا ما قاله بالضبط.» قالت ذلك وهي ترفع ذقنها بعناد.

فقال: «هذا المشروع السياحي هو فكرة خطيبك الغالي اليس كذلك؟»

ردت بعنف: «لا، بالطبع، لا.» لكن نظرة الذنب في عينيها فضحت كذبتها.

«هذا المكان... الا يعني لك شيئاً اطلاقاً؟»

«بالطبع يعني لي الكثير.» ردت بصوت مبحوح، كيف يمكن له طرح هكذا سؤال؟ انه المكان الذي وقعت فيه بيأس وبالم في الحب لأول مرة في حياتها. هيام مراهقة، عطلة رومانسية، بوسعها رؤية ذلك الآن وبالطبع هو بدوره يعرف ذلك!

في هذه الأيام هي تتباهى بقدرتها على إخفاء عواطفها ومشاعرها لكن حينها كان وجهها مرآة واضحة للحب الجارف الذي تكنه لليوناني الشاب الوسيم.

كررت ثانية وبقوة: «بالطبع يعني لي الكثير، فذكرى الماضي بأكمله يكمن هنا، لكنك بالطبع ترى...»

قاطعها قائلاً بصوت غاضب: «لا، بل انت بالطبع ترين ان أي تطوير مهما كان مرهف الذوق كما تقولين سيدمر تلك الذكرى للأبد.»

جرع كل ما في كوبه ثم تابع: «هل تتوقعين مني تسليم هذا المكان الجميل لخطيبك الغالي الشرير والطماع كي يفسده؟»

«انظر.» قالت وقد تعكر مزاجها بدورها: «سمعت ما فيه الكفاية عن هذا الموضوع. جوليان ليس شريراً، انت لا تعرفه ولا تعرف والداي و...»

«ولا رغبة لدي اطلاقاً بالتعرف عليهم نظراً لما أراه من تغيير فيك بسببهم.»

«احتفظ بآرائك لنفسك.» تابعت وهي تبعد شعرها الأشقر عن وجهها المتضرج احمراراً: «وللمرة الألف اقول لك ان هذا المنزل منزلي وانا حرة بفعل ما اشاء به.»

«كلا يا عزيزتي.» قال بابتسام: «دعيني اقول لك هذا. لا شيء مما سبق وفعلته في حياتي سيمنحني مقدار الرضى الذي سأناله من منعك وجوليان هذا من الاستيلاء على هذه الفيللا.»

«اعرف ان هذا سيرضيك.» ردت بقوة: «فأنت لم تعمل يوماً في حياتك كلها وقد سقط هذا المكان في حضنك كالخوخة الناضجة وانت لن تتخلى عنه دون قتال.»

«صدقت بهذا.»

www.liilas.com

«لا بأس. سنرى ما سيقوله السيد جونايدس المحامي غداً، فكر بذلك قبل ان تعتبر المكان ملكك.»

نهضت بغضب فسألها بحدة: «إلى اين تذهبين؟»

«إلى غرفتي. فالرفقة هذه لا تهمني.»

«الشعور متبادل، أؤكد لك ذلك.» وسمعت صراخه بالكلمات الأخيرة هذه حتى وصولها إلى غرفتها واغلاق الباب خلفها.

الفصل الثالث

استيقظت كاثرين مرة واحدة في الليل. فظلت مستلقية على ظهرها محدقة بالنافذة حيث تتسلل خيوط القمر الفضية إلى الداخل.

في الخارج كانت اوراق اشجار الزيتون تصدر حفيفاً رقيقاً يتخلله صوت الامواج القريبة على الشاطىء. كان الصوت يبعث على النوم فأغمضت كاثرين عينيها ثانية وهي تسمع هذه الاصوات...

حين استيقظت ثانية كان ضوء النهار يغمر الغرفة.

فتمطت وتثاءبت بعينين شبه مغمضتين ثم نهضت من السرير.

في الليلة الماضية عالجت كل ما واجهها بشكل خاطىء كلياً، كانت متعبة من الرحلة ومن مواجهة نيكولاس، انه نيكولاس البارد والغامض، وقد حطم ذلك العزم والقوة التي كانت لديها والتي عملت على تقويتها في شخصيتها ولسنوات.

والطريقة التي سمحت له بتقبيلها على الشاطىء؟! أي مجنونة سيعتقدها؟ وكأن غياب الثماني سنوات لم يحصل! غمرتها موجة من الخجل بتذكرها ذلك. لكن ذلك بدوره حدث من تأثير تعب الرحلة ولا يعقل ان يتكرر ثانية ابداً. والا فسيعتقد نيكولاس انها ستستسلم له دون قتال عدا عن تسليم منزلها له...

www.liilas.com
ousha 233
OUSHA233
www.liilas.com

عند مغادرتها الشرفة البارحة ذهبت إلى غرفتها مباشرة وصفقت الباب خلفها ثم توقفت دون حراك وقد شلتها موجة من الذعر. وكادت أن تحمل حقائبها وتغادر تاركة لعدوها الانتصار.

كادت ان تهرب لكنها لم تفعل. والآن هذا الصباح جلست ثانية على السرير وضمت ركبتيها بين ذراعيها وقطبت جبينها. ستعامله كالزبائن الذين يصعب التعامل معهم في المصرف تماماً. ستكون مهذبة باردة جداً، ومهنية جداً، لن تسمح ثانية لنيكولاس ديمتريوس بإخراجها عن هدوئها ابداً!

ما الذي ينويه؟ انصتت جيداً فلم تسمع أي صوت. لا شك انه لازال نائماً.

فالنهار لا يبدأ عنده عادة الا عند الظهيرة. ستغتسل وترتدي ملابسها ثم ستتسلل، لا هي لن تتسلل، بل ستنزل إلى القرية ثم ستستقل سيارة أجرة لتسبق نيكولاس إلى مكتب المحامي.

نهضت من السرير وتناولت حقيبة مستحضرات الاستحمام والتجميل وفتحت باب غرفتها بحذر. مجدداً لم تسمع أي صوت، كانت تسير على رؤوس اصابعها في الممر حين ودون سابق إنذار فتح باب الحمام وظهر نيكولاس على عتبته.

كانت الستائر على النوافذ لازالت مغلقة لذا كان الضوء باهتاً في الممر وهكذا لم يرها نيكولاس للوهلة الأولى وهي تتجمد مكانها ويدها على فمها. لكنه سمع دون شك شهقتها المتفاجئة لأنه رفع بصره اليها بحدة وقال: «كاثرين.»

كان قد استحم دون شك فالمياه كانت تتساقط بقطرات بطيئة من شعره الأسود الكث ووجهه كان يلمع.

قالت والصدمة واضحة في صوتها: «اتمنى الا تسير هكذا ثانية.»

اقترب منها واخذ يحدق برداء نومها القطني الزهري وشعرها المشعث قليلاً.

هز رأسه اخيراً وقال بحزن: «اهدأي يا عزيزتي انت مضطربة كالقطة.»

«أنت تجعلني كذلك.» قالت وهي تشعر بأنفاسها تكاد تختنق لقربه منها.

«آسف لذلك.» تابع وهو يبتسم: «نسيت للحظة وجودك هنا.»

ردت بحدة: «حسناً لربما ستتذكر في المرة القادمة انني هنا.»

اوما برأسه ثانية وقال: «اتعرفين يا حلوتي، لقد كبرت لتصبحي السيدة المتزمتة المحافظة، خففي عنك ذلك. فالحياة ليست جدية لهذه الدرجة.»

وامتدت يده السمراء لتعبث بشعرها. كان لهذه اللمسة البسيطة تأثيراً مزعجاً عليها جاعلة كل جسدها يتفجر حرارة ويرتعش فيما دقات قلبها تتسارع. بطريقة ما ابتعدت قليلاً عنه وقالت: «اعتقد ان الحياة جدية ومن المؤسف انك لا تعتقد ذلك بدورك. والا لكنت اصبحت انساناً مهماً فيها.»

«اتعتقدين ذلك حقاً؟ يا لكاثرين المسكينة.» قال بسخرية: «ويا للمسكين... ما كان اسمه؟ اجل جوليان.»

www.liilas.com

ماذا تعني بهذا؟»

«لا شيء، أنا واثق من انكما تلائمان بعضكما مئة بالمئة.»

قالت بحدة: «اجل، هذا صحيح.» رفعت رأسها بكبرياء ثم سارت إلى الحمام واغلقت الباب خلفها بعنف. اتكأت إلى الباب وملامحها تتسم بالغضب والذعر.

خمس دقائق فقط، هذا كل الوقت الذي احتاجته كي يتبخر كل تصميمها على البقاء باردة ومهذبة وعلى معاملته باحتقار جاف. فالفكرة الوحيدة التي كانت تسيطر عليها وهو قربها كانت الارتماء بين ذراعيه ومسح ابتسامته الساخرة تلك بقبلة.

شاهدت انعكاس صورتها في المرآة امامها وتنفست بغضب لو رآها جوليان هكذا الآن لما عرفها... فوجهها متورد وعينيها تبرقان كعيني القطة الغاضبة وصدرها يعلو ويهبط بشدة بسبب عاصفة الغضب التي تجتاحها، ازاحت نظرها عن المرآة وبدأت الاستحمام...

حين خرجت إلى الشرفة كان نيكولاس غارقاً في الأوراق التي على الطاولة امامه.

بوصولها جمع الأوراق كلها ووضعها في حقيبة يد جلدية كانت قربه.

سألها: «اتريدين قهوة؟»

«اجل، من فضلك.»

«سادة أم مع الحليب؟»

«مع الحليب من فضلك.»

مرر اليها ابريقاً ازرق اللون وقال: «جربي هذا الحليب انه طبيعي من ماعزي.»

حين رفعت نظرها اليه بدهشة تابع: «اشتريت بعضاً منها وهي ترعى على سفح التلة خلف المنزل وهي تقضي كل حياتها هناك. انا متأكد انك ستتذوقين طعم الأزهار في حليبها.»

سألته بدهشة:

«وهل حلبتها هذا الصباح؟»

رد قائلاً: «طبعاً، دخلت غرفتك لأسألك ان كنت راغبة بمرافقتي لكنك كنت تغطين بنوم عميق.»

قال ذلك بنبرة هادئة لكن فكرة رؤية نيكولاس لها وهي نائمة اثارت اضطرابها.

قالت: «لا شك ان لديك بعض اللبن أيضاً المعد من حليب آريادنا وبيرسيفون.»

«آريادنا... تقصدين الماعز؟»

«طبعاً ولا شك انها ماعز جميلة المنظر أيضاً. بصوف طويل براق واجراس حول اعناقها.»

رغم توترها الا انها ضحكت بصوت مرتفع فرفع حاجبيه وسألها: «ما الأمر؟»

ردت بسرعة: «آه، لا شيء، كنت افكر فقط كم انت رومانسي.»

قال وقد قست عيناه فجأة: «وفي اعتقادك اظن هذا جريمة كبرى.»

«آه، لا، لا، بالطبع لا. الأمر فقط...» مجدداً عاد الارتباك ليسيطر عليها وتابعت قائلة: «انت مليء بالحركة وديناميكي، ان استطعت الاستفادة من ذلك بتعقل لاستطعت فعل أي شيء.»

www.liilas.com

«بتعقل؟ لكن لربما يا كاثرين انا لا أريد القيام بأي شيء.»

فتمتمت: «حسناً، هذا عائد اليك. لا فرق عندي سواء قررت القيام بشيء ما بحياتك أم لا.»

وتابعت تناول طعامها بصمت بعد ذلك. وحين انتهت نهضت وحملت الصحون لوضعها في المطبخ.

فنهض نيكولاس بدوره وقال: «اتركي ذلك الآن، هل انت مستعدة؟»

«أجل.» وتناولت حقيبتها عن الأرض.

«حسناً.» ونظر إلى ساعة معصمه الذهبية فتساءلت كاثرين أهي من نوع رولكس الثمين؟ بالطبع لا لكنه لن يبخل بشرائها لو توفر له المال لذلك فنيكولاس من النوع المبذر الذي لا يحسب للمستقبل أي حساب.

قال: «حسناً، إذن لنذهب.»

حدقت به وقالت: «لكن ألن تضع شيئاً عليك؟»

نظر إلى نفسه وتمتم: «آسف، لقد نسيت.»

تناول سترته من على الكرسي المجاور وارتداها فتشعث شعره قليلاً جراء ذلك انسدلت خصلة منه على جبينه. قاومت كاثرين رغبة جامحة اجتاحتها بإعادة تلك الخصلة إلى مكانها وابعدت نظرها عنه فيما هو ينتعل حذاءً رياضياً في قدمه.

قالت باستغراب: «لكنك بالطبع ستغير ملابسك هذه.»

سأل بسخرية: «ماذا تريدين ان ارتدي؟ بذلة رسمية؟»

أجابته: «لا، بالطبع لا. بل ترتدي ملابس لائقة للقاء محامي.»

ضحك فجأة وقال: «كاثرين، هذه ليست لندن أو باريس كما تعلمين.»

«أجل، لكن...»

سأل باستهزاء: «إذن ما هي الملابس المناسبة برأيك لمقابلة محاميك؟»

وفجأة امسك بمعصمها وتابع: «تعالي واختاري لي انت بنفسك الثياب الملائمة.»

وقبل ان تتمكن من المجادلة قادها إلى غرفته.

كان السرير لايزال بحالة فوضى والتجويف على الوسادة يدل على مكان رأسه عليها. ابعدت نظرها عن السرير وفتح نيكولاس خزانة ملابسه على مصراعيها.

قال: «انها تحت أمرك.»

كان يقف خلفها تماماً واستطاعت ان تشم رائحة الصابون وعطر ما بعد الحلاقة واحست بدوار وشعور مرهف.

هذا غريب لكنها لم تشعر بذلك اطلاقاً مع جوليان. ذعرت لهذه الفكرة غير الوفية ومدت يدها سريعاً لتقليب الملابس امامها.

لا يوجد أي بذلة كما كانت متأكدة، فهي لا تتصور ارتداء نيكولاس لبذلة رسمية رمادية مثلاً مع قميص حريري أبيض وربطة عنق مناسبة... الفكرة ذاتها غير ممكنة مما جعلها تبتسم ابتسامة صامتة.

جاءها صوته من خلفها وهو يسأل: «اتريدينني حقاً ان ارتدي هذا؟»

ادركت ان يديها كانتا ثابتتين على بنطال جينز أزرق فسارعت للقول: «لا، بل هذا.»

ودون ان تنظر اليه تناولت قميصاً أزرق اللون وبنطالاً أبيض وناولتهما له، وحين رماهما على السرير وبدأ بخلع كنزته سارعت هي بمغادرة الغرفة. بخروجه بعد لحظات كانت هي بانتظاره على الشرفة.

سألها: «هل انت جاهزة؟»

فردت: «طبعاً.» وتناولت حقيبتها ثانية متابعة: «هل سنأخذ سيارة أجرة من القرية؟»

«لا داع لذلك، فسأقلك إلى المحامي بنفسي.» قال ذلك وهو يحرك لها بالمفاتيح.

إذن اخيراً اصبح لديه سيارة، تبعته إلى المرآب خلف المنزل وانتظرت فيما دخله هو ثم تنهدت بعمق حين رأته خارجاً.

لم تكن وسيلة النقل خاصته سيارة بل كانت دراجة نارية ضخمة، أدارها نيكولاس واقترب بها منها.

«إصعدي.»

«لكن... لا، سأنزل إلى القرية سيراً على الاقدام واستقل سيارة أجرة.»

استقام نيكولاس ونظر اليها قائلاً بحدة: «بل ستصعدين الآن، كاثرين ما بك؟ كنت تركبين على دراجتي القديمة بسعادة في الماضي، اليس كذلك؟»

«اجل، لكن كان ذلك في الماضي.» ردت بذلك بصوت جليدي.

تذكرت المرة الأولى التي ركبت فيها خلفه على الدراجة كانت أمسية دافئة والاشجار تلقي بظلالها على وجهيهما وهما ينزلان الطريق المتعرج من أعلى التلة، ثم ترجلا عن

الدراجة بوصولهما إلى كرم العنب وجلسا لاحتساء الليموناضة الباردة ولمراقبة غروب الشمس خلف قمم الجبال العالية.

وحين عادا من نزهتهما هذه وكانت تضع خدها على ظهر نيكولاس الذي يقود الدراجة بتؤدة وكأنها كانت لا تطيق الابتعاد عنه.

اغمضت عينيها لعمق الألم الذي احست به حينها والآن أيضاً لتذكرها ذلك، ثم شدت نفسها بعيداً عن ذكرياتها واستدارت استعداداً للسير إلى القرية.

لكن صوت نيكولاس أوقفها وهو يقول: «كاثرين ان لم تصعدي الآن حالاً فسأتبعك إلى القرية على الدراجة هكذا وسأمنع أي سائق سيارة اجرة من اصطحابك. سأخبرهم ان هذه مشاجرة بين صديقين.»

وقفت مكانها دون حراك للحظة طويلة ثم ودون ان تنظر اليه صعدت خلفه.

أدار المحرك فوراً وانطلقت الدراجة النارية هادرة على الطريق المتعرج. فصاحت كاثرين بذعر وتشبثت بخصر نيكولاس اتقاء من السقوط.

قفز قطيع من الماعز بعيداً عن الطريق باقتراب الدراجة السريعة منه وعبرا المنازل البيضاء الصغيرة من حولهما سريعاً. داعبت الرياح شعرها وعبثت به رغم وضعها للدبابيس فيه.

حين توقف اخيراً قرب مبنى ضخم وسط بلدة سكايثوس كانت كاثرين تقهقه من حماس المغامرة.

ترجلت عن الدراجة ونظرت اليه وهي تبعد شعرها

www.liilas.com ausha 2.3

المشعث عن وجهها المتورد وقالت بسعادة: «كان هذا رائعاً.»

خرجت الكلمات منها قبل ان تتمكن من ردعها وللمرة الأولى لم يرمها نيكولاس بتلك الابتسامة الساخرة أو يلسعها بتعليق لاذع بل اكتفى بالنظر اليها وركن دراجته إلى جانب الطريق.

ثم بعد لحظة طويلة، قال: «يوجد بعض الغبار على خدك لا تتحركي.»

لامس ابهامه طرف وجهها ثم استدار مبتعداً...

اقترب المحامي الأصغر سناً مما توقعت من خلف مكتبه وقال: «آه، آنسة تيرنر، أهلاً، كيف حالك؟ أنا آسف بشأن موت جدك! اقدم لك تعازي الحارة. كان رجلاً رائعاً. واعتبر نفسي محظوظاً لتعرفي اليه.»

ابتسمت كاثرين بدفء وقالت: «شكراً لك، سأخبر والدي بما قلته.» لكنها ما كانت لتفعل حقاً فشهادة الف محام ما كانت لتبدل رأي والدها بجدها.

«نيكولاس.»

«ستافروس.»

جلست كاثرين على المقعد الجلدي وراقبت بذهول معانقة الرجلين لبعضهما البعض، نيكولاس؟ ستافروس؟

قال نيكولاس:

«آه نسيت، يجب ان نتحدث بالانكليزية فالآنسة تيرنر لا تتحدث اليونانية.»

رد المحامي: «آسف جداً آنسة تيرنر كان هذا تصرفاً غير لائقاً مني.»

ثم توجه بكلامه ثانية إلى نيكولاس متابعاً: «وكيف حال والدتك؟»

«أحسن حالاً وهي تتجاوب كلياً مع العلاج، وكريستينا هي بخير كما أتمنى.»

«انها رائعة. لا يمكن ان تكون أحسن حالاً.»

سأله نيكولاس: «متى موعد ولادة الطفل؟»

«بعد ثلاثة اسابيع.»

لم تعد كاثرين قادرة على تحمل المزيد فقالت: «إذن انتما تعرفان بعضكما البعض.»

جلس نيكولاس على المقعد الآخر قربها وقال: «كنا معاً في المدرسة.»

شعرت بغصة في داخلها يا لحماقتها! طبعاً في جزيرة صغيرة مثل هذه الجميع يعرف بعضه البعض، ثم خطرت ببالها فكرة أخرى. كان نيكولاس على علم بمجيئها وقد اخبرها بذلك بنفسه فهل يعقل ان محاميها اطلعه على بعض الأمور قبل وصولها؟

قالت بعد جلوس المحامي خلف مكتبه: «آمل الا تسيء فهمي سيد جونايدس. لكن هل لنا بتوضيح مسألة محددة قبل أي شيء آخر؟ اعرف انك كنت محامي جدي لكن انت من تمثل في هذه القضية الآن؟ مصالح من تخدم حالياً، مصالحي أم مصالح السيد ديمتريوس؟»

رماها المحامي بنظرة هادئة من خلف نظاراته قائلاً: «اخدم مصلحة العدالة كما آمل آنسة تيرنر.»

انه رد محام متمرس، لكنها لن تشعر بالخوف، رمقت نيكولاس بنظرة جانبية سريعة ورأته مسترخياً في مقعده

فيما كانت هي تجلس باضطراب وتوتر على طرف المقعد.

تجاهلته وعادت باهتمامها إلى المحامي قائلة بنبرة جاهدت لجعلها هادئة: «لكن هل انت محام السيد ديمتريوس أيضاً؟ ان كان هذا هو الوضع فأظن ان من الأفضل ومن الأقل احراجاً لك. ان وضعت قضيتي بين يدي محام آخر.»

مع ان احدهما لم يكن محرجاً بل كانا في احسن حالات الراحة وهما يبدوان كيونانيين يتفقان على امرأة غريبة:

«آه، لكني اؤكد لك آنسة تيرنر، انه منذ الانتقال إلى هنا فقد استخدم السيد ديمتريوس الوالد العديد من المحامين في أثينا. وفيما يتعلق بالسيد ديمتريوس الابن حسناً...» رماه المحامي بابتسامة قبل ان يتابع: «فلا اظنه يقدر كثيراً المحامي ضمن اولوياته. وأيضاً تغلبه على أي شخص آخر في الدراسة الاكاديمية، في الرياضة، في النجاح مع الفتيات...»

وتبادل الرجلان نظرة أخرى زادت من حنق كاثرين قبل ان يتابع المحامي قائلاً: «هذا لن يغير حكمي اطلاقاً أو يؤثر اقل تأثير عليه.»

طأطأت كاثرين رأسها وقالت: «حسن جداً.»

«والآن.» بدأ المحامي كلامه وهو يتناول بعض الأوراق من امامه وتابع: «المشكلة الرئيسية هي تحديد المالك القانوني للمنزل، للأرض المحيطة به وللشاطىء الموجود خلفه.»

«لكن بالطبع لا مشكلة بذلك.» اشارت كاثرين بنبرة منطقية: «فبعد كل شيء جدي هو من اشترى الأرض وبنى المنزل عليه، لذا...»

بالطبع وافقها المحامي: «لكن لدينا أيضاً مسألة والد نيكولاس.»

«اجل، لكن ليمكنك فعلاً تأسيس... ماذ دعوته؟ مالكاً رسمياً أو قانونياً بالاستناد إلى ورقة لعب بالية؟»

رمت نيكولاس بنظرة أخرى وهو مسترخ على الأريكة وكأن الموضوع برمته يسبب له الملل.

رد المحامي قائلاً: «نقطة جيدة آنسة تيرنر، وصية صحيحة مع شهود كتبتها بنفسي على ظهر ورقة لعب تحمل أيضاً إمضاء المالك، التاريخ وامضاء الشهود. سبق لي واستشرت عمي وهو عضو في هيئة المحكمة العليا في أثينا وقد طلب مني العودة إلى قضية.. بانايتبلولو ضد فاسيلدس وهي قضية مشابهة قليلاً لقضيتكما. باستثناء وجود قائمة طعام المطعم هناك بدل ورقة اللعب هنا وأيضاً وجود امرأة كانت يوماً صديقة لكلا الطرفين كل على حدة كشاهد.»

سألته كاثرين بنفاد صبر: «ومن الذي فاز؟»

«حسناً.» هز جونايدس رأسه وطيف ابتسامة شاحبة على وجهه وتابع: «تلك حسنة قانونية أخرى.»

فشرح لها نيكولاس: «يقصد ان احداً لم يفز باستثناء المحامين.»

عضت كاثرين على شفتها بإحباط. هي لا ترغب بالتورط في قضية مكلفة طويلة الأمد قد تستمر لسنوات. ومن الناحية

الأخرى لما تسلم الفيللا بكل بساطة واستسلام دون ان تحاول منع ذلك، كما اراد جدها دون شك؟ رغم كلمات السيد جونايدس المطمئنة الا انها تشعر بالوحدة الفظيعة، لو ان جوليان كان هنا لمساعدتها، لنصحها بشأن ما يتوجب عليها القيام به...

نظر اليها نيكولاس للمرة الأولى وقال: «حسناً يا كاثرين ما رأيك؟ أو بالأحرى ما كان ليكون رأي جوليان؟»

شدت على يديها بقوة. هل هو قارىء افكار؟

قالت: «بوسعك ترك جوليان خارج هذا الموضوع.»

«لكن هل يريد هو ان يترك خارج الموضوع؟» سأل بصوت هادىء ثم استدار نحو المحامي متابعاً: «كان خطيب الآنسة تيرنر ينوي تحويل الفيللا إلى مجمع سياحي مزدوج الملكية.»

رد السيد جونايدس بدبلوماسية: «هناك العديد من مشاريع التطوير في سكايثوس، ومعظمه يتم على يد اجانب.»

قالت كاثرين: «اخبرني يا سيد جونايدس هل لديك ادنى معرفة بكتابة جدي لوصية أخرى أو حيال نيته بتغيير الوصية الحالية قبل وفاته؟»

«لا، اطلاقاً.» تابع بحذر: «هو بالطبع لم يخبرني بهكذا أمر البتة.»

«هذا يسوي الأمور إذن.»

«باستثناء ان ورقة اللعب التي بحوزتي مؤرخة بتاريخ يسبق تاريخ أي وصية لديك.» رد نيكولاس ببرود يغلف كلماته القاسية.

لكنها تجاهلته ووجهت كلامها إلى المحامي ثانية قائلة: «إذن ماذا تقترح سيد جونايدس؟»

نقل المحامي نظره بين وجهها المتورد ووجه نيكولاس الخالي من التعبير وقال: «اقترح قيامكما بالتوصل إلى تسوية بعيداً عن قاعات المحاكم.»

ضحكت كاثرين بعصبية وقالت: «لكن هذا مستحيل، فبعد كل شيء التسوية الوحيدة التي يريدها السيد ديمتريوس...» ورمته بنظرة شريرة قبل ان تتابع: «هي عودتي إلى لندن هذا الصباح وتركه ليكون وحده المالك الشرعي، آسفة، لكني لا أنوي القيام بذلك.»

رفعت رأسها بتحد ونظر المحامي اليها بتفكير وقال: «لا، اعترف انني لا اراك ممن يتراجعون بسهولة آنسة تيرنر. اذن بهذه الحالة لعلك ستفكرين بتقديم عرض مناسب للسيد ديمتريوس لقاء تركه الفيللا لك.»

قالت: «هذا مرفوض تماماً.»

قال نيكولاس:

«أنا لن افعل ذلك اطلاقاً.»

تكلما معاً وبنفس الوقت وهما ينظران بغضب إلى بعضهما البعض وشعرت كاثرين انها نالت كفايتها من هذا الحديث، نهضت وتناولت حقيبتها ثم نظرت إلى المحامي وقالت: «شكراً لك على نصيحتك سيد جونايدس، لكني لست ممن يستسلم بسهولة. تعرض جدي كما هو واضح لعملية...»

وحين رأت النار تتأجج في عيني نيكولاس توقفت عن متابعة ما ارادت قوله واستعاضت عنه بقولها: «من

www.liilas.com ausha 2009

الواضح انه ارادني ان احصل على الفيللا لذا فسأبذل كل ما بوسعي لتحقيق امنيته هذه، ولا شك اننا سنتقابل ثانية قريباً جداً.»

مدت يدها بثبات وصافحت المحامي قبل ان تستدير على عقبيها وتغادر المكتب.

الفصل الرابع

كانت واقفة وسط الطريق غير مدركة بأي اتجاه سوف تنطلق حين وصل نيكولاس اليها.

سألها: «حسناً، هل انت راضية؟»

«في الحقيقة كلا، نحن لم نحرز تقدماً.»

«لكننا على الأقل نعرف موضع اقدامنا.»

انطلقت سيارة سريعة من قربهما وكادت تدهس كاثرين لولا ان سارع نيكولاس بسحبها إلى الرصيف وبدأ بالصراخ على السائق المنطلق بسرعة جنونية، فهمست كاثرين له: «لا تفعل ذلك.»

«لا افعل ماذا؟»

«تجعل من نفسك ومني محط انظار الجميع.»

«ولم لا؟» سألها بابتسامة خبيثة وتابع: «هذه واحدة من متع الحياة الصغيرة، سبق وطلبت منك ان تهدئي يا قطتي الصغيرة. هيا تعالي لنذهب.»

لكنها بالكاد سمعته، القطعة الصغيرة... بهذا دعاها في المرة السابقة قبل ثمان سنوات، قال لها انها اصغر من ان تكون قطة لذا فهي قطة صغيرة. ثم ابتسم لها ولامس أنفها برقة...

ذهلت لموجة الحزن التي اجتاحتها جراء هذه الذكريات، ولإخفاء هذا الاضطراب الداخلي قالت له: «انا مندهشة كونك لم ترمني تحت عجلات تلك السيارة.»

www.liilas.com
ausha 233

ابتسم لها بخفة وقال: «انت تقللين من تقديري، فهذا حل بالغ السهولة، أنا أحب القتال خاصة مع امرأة جميلة وخاصة ان كنت واثقاً من النتيجة.»

«انت واثق من النتيجة ومتأكد تماماً انك ستحصل على الفيللا؟»

«الفيللا؟ آه، أجل... طبعاً، لكني لم اكن اتكلم عن الفيللا.»

شعرت كاثرين بالدماء تضرج وجهها للمعنى الواضح لكلماته والذي ظهر داخل عينيه الزرقاوين الداكنتين. فرفعت حقيبتها ووضعتها على كتفها ثم سارت مبتعدة عنه الا انه امسك بذراعها واوقفها. سألها: «إلى اين تنطلقين الآن؟»

«سأطلب سيارة أجرة لتعيدني إلى المنزل.»

«هيا لا تتصرفي بعناد ثانية، لقد احببت ركوب الدراجة.»

«ربما، لكن...»

«وتعرفين تماماً انني سائق ماهر.»

وفيما وقفت مكانها تركل الحصى بقدمها وضع يده تحت ذقنها ورفع وجهها اليه قائلاً: «لذا فانت بأمان تام معي.»

حقاً؟ كادت ان تنطق بالكلمة لكنها ردعت نفسها في اللحظة الأخيرة، مرت سيارة أجرة رمادية من امامهما بتلك اللحظة فسارت كاثرين خطوة نحوها لكن نيكولاس عاد ليمسك بذراعها مشيراً للسائق بمتابعة السير.

سار بها عبر شارع باباديامانتس ثم إلى طريق فرعي ولم يترك يدها الا بوصولهما إلى معرض للفنون، كان

المعرض مؤثثا ببساطة وذوق وكان اللون الوحيد داخله هو لون اللوحات المختلفة التي تزين جدرانه البيضاء، ظهر رجل بمتوسط العمر داخل المعرض وحيا نيكولاس بشوق، كان الرجلان يقولان شيئاً ما عنها، شعرت كاثرين بذلك، لأن الرجل ابتسم بأدب لها وانحنى قليلاً لتحيتها فيما عيناه تعكسان الفضول. ثم ابتعد ونيكولاس إلى زاوية المعرض البعيدة تاركاً إياها في حيرتها.

بعض اللوحات كانت مائية لكن معظمها كانت زيتية. واخذت تنقل نظرها من لوحة إلى أخرى، متأملة المناظر الطبيعية الخلابة التي تصورها اللوحات، وقوارب الصيد البسيطة والمنازل البيضاء الصغيرة ثم توقفت بذهول امام إحدى اللوحات. كانت هذه اللوحة مختلفة تماماً عن البقية، فهي لا تصور منظراً من جزيرة سكايثوس بل تصور الصحراء.

تحت سماء برتقالية حارة تمتد كثبان الرمل المرسومة بتموج فوق الأرضية الرملية الذهبية. كانت اللوحة كالنار تماماً وكادت كاثرين ان تشعر بلسعة حرارة الصحراء على وجهها.

وقفت مكانها مذهولة لبضع دقائق قبل ان تدرك وجود نيكولاس قربها.

سألها: «هل تعجبك؟»

«اجل، انها رائعة، اتظنهم سيقبلون بطاقة الاعتماد؟ هذه ستكون رائعة...»

حين توقفت عن الكلام فجأة رفع نيكولاس حاجبه باستفسار قائلاً: «رائعة؟»

www.liilas.com

قالت: «رائعة كهدية زفاف لجوليان.»

أجابها: «لا اظن جوليان سيكترث لهذه اللوحة.»

فسألته: «ولم لا؟ سبق واخبرتك انك لا تعرفه.»

هز كتفيه وقال: «على كل الاحوال اللوحة مباعة.»

قالت بعناد: «لا يوجد بطاقة مباعة عليها كحال بعض اللوحات الأخرى. لذا فسوف أسأل عنها.»

وضع ذراعه حول خصرها مجبراً إياها على الاستدارة بقوة فاجأتها وجعلتها تضع كلتا يديها على صدره لتحاشي فقدان التوازن للحظات قليلة. سمعته يقول: «اللوحة مباعة.»

ثم رفع امامها اوراقاً نقدية كثيرة.

نقلت نظرها من المال اليه ثم ابتلعت ريقها بصعوبة وقالت بذعر: «تقصد... انك من رسمها؟»

«هذا صحيح.» واشار إلى زاوية اللوحة للحرفيين ن.د. بخط اسود نافر.

سألته: «اتعرف من الذي اشتراها؟»

هز كتفيه مجدداً وقال: «آه، صناعي الماني وصل بقاربه للتو إلى الميناء. تعرفين، انه احد اولئك السياح الذين يملكون مالاً اكثر مما يملكون عقلاً كما سبق وقلت.»

زمت شفتيها بامتعاض لكنه تجاهلها متابعاً: «اتعرفين يا كوكولا، اظن لا زال هناك أملاً لك بعد كل شيء.»

«وماذا يعني ذلك؟»

«انك وبكل بساطة تبدين باردة جداً ومتمسكة بكرامتك. لكن انجذابك إلى هذه اللوحة التي تعبر عن النار والحرارة اللتين تظهران ذلك الجانب فيك، الجانب الذي بدأت اعتقد انني تخيلت بقاءه بداخلك.»

«أجل، لا بأس لعلني لم اعجب بها حقاً بعدما تأملتها الآن جيداً.»

«لازال موجوداً في اعماقك ولم يندثر تماماً رغم بذل بعض الناس جهدهم كي يطمروه. انه بداخلك بانتظار الرجل المناسب كي يعيد اشعاله.»

«توقف.» هتفت به: «لا تخاطبني بهذه الطريقة.»

سألها: «حقاً؟» وودع البائع ثم دفعها برفق إلى الخارج. أوقفها على واجهة محل مجوهرات صغير وقال: «وكأنني اتذكر انني وعدتك قبل فترة طويلة بشراء سوار لك.»

«آه، لا، ارجوك.» هتفت وقد غمرها الارتباك لرغبته بصرف المال عليها إضافة لشعور خادع بالسعادة لتذكره وعده هذا، لكن الارتباك تغلب فتابعت: «افضل عدم قيامك بذلك.»

«هراء.» قال ذلك ببرودة ومد اوراق النقد امامها قائلاً: «هذه تسبب فجوة في جيبي.»

في اللحظة التالية كانت تخطو بتردد داخل المحل فيما ذراعه حول وسطها ويدفعها لدخول المكان. فيما اقترب البائع الشاب منهما وحيّا نيكولاس بحرارة وقع نظر كاثرين على علاقات مفاتيح يونانية جميلة ثمنها رخيص.

لذا حين استدار نيكولاس اليها وسألها: «والآن يا كاثرين هل رأيت شيئاً اعجبك؟»

قالت وهي تشير إلى العلاقات: «هذه جميلة جداً.»

لكن فيما اوشك البائع على احضار العلاقات لها هز نيكولاس يده وتمتم شيئاً باليونانية للبائع الذي ابتعد إلى ركن آخر من المحل وفتح خزانة خشبية محضراً منها

www.liilas.com

صندوقاً كبير الحجم. فتح الصندوق وظهرت بداخله مجموعة من الاساور الفضية الرائعة المزينة بالاحجار الكريمة الفيروزية والخضراء والحمراء، نظر نيكولاس اليها ثم تناول اضخمها وقال: «هاتي يدك.»

وبعد نظرة تهديد منه اطاعته وسمحت له بإلباسها إياها. كانت الإسوارة من الفضة المزخرفة والمرصعة بالأحجار الفيروزية الرائعة.

«من فضلك.» همست له بحرارة: «افضل الا...» لكنه تجاهلها واتجه نحو البائع سائلاً إياه عن سعرها.

شاهدت كاثرين انتقال الأوراق النقدية الكثيرة من يد نيكولاس إلى يد البائع. وحين خرجا استدارت نحوه بحدة وقالت: «ما كان يجدر بك فعل هذا، انت غير معقول.»

«ألم تعجبك؟»

نظرت إلى السوار ولامسته باصابعها وقالت: «بلى بالطبع تعجبني، انها جميلة، لا بل رائعة، شكراً لك يا نيكولاس.» قالت ذلك بصوت مبحوح ولأن الغصة التي شعرت بها في حلقها اغضبتها من نفسها فقد تابعت: «لكن ما كان يجدر بك شرائها، لن يكون لديك أي مبلغ من المال ان بقيت مسرفا هكذا طوال الوقت، تلك الساعة...»

نظر إلى الساعة بعدم اكتراث وسأل: «ماذا عنها؟»

«انها من نوع رولكس، اليس كذلك؟»

«هذا ممكن.»

«واظنك اشتريتها بثمن لوحة أخرى من لوحاتك.»

لامس انفها بخفة قائلاً: «اهتمي بشؤونك الخاصة يا آنسة متزمتة.»

رفضت الصمت وتابعت: «اجل، انت محق ليس هذا من شأني، لكن الا تفكر ابداً بتوفير مالك بدل صرفه وتبذيره هكذا طيلة الوقت؟»

هز نيكولاس رأسه بأسف قائلاً: «تتحدثين كموظفة مصرف حقيقية، لكن سعادة الحياة الآن يا حلوتي لا في وقت ما من المستقبل المجهول، وان كان اسعادك يسعدني...»

التقت عيونهما للحظة طويلة وادركت كاثرين انه لم يعد يتحدث عن السوار فقط وتابع: «فسأفعل. والآن لنذهب لاحتساء القهوة.»

استرخت كاثرين على كرسيها الخشبي الابيض في المقهى الصغير وحدقت بالحاجز الملون من النباتات الخضراء والازهار الملونة الذي يفصل بين هذا المقهى والآخر الملاصق له، وكان البحر على الطرف القريب الآخر حيث تتجول قوارب الصيد الصغيرة في رحابه وحيث كانت تتقدم إلى الميناء سفينة شحن متوسطة الحجم قادمة من البر الأم. ومر من امامهم بغلا محملاً بالكثير من المعدات الحديثة وكانه محل متجول فابتسمت كاثرين بسعادة لنفسها.

«ما الأمر؟» سألها نيكولاس الذي كان يراقبها فيما هي تراقب ما حولها.

«آه، كنت افكر فقط.» قالت بابتسام: «لا عجب انك متمسك بالعيش هنا في سكايثوس طيلة الوقت، اعني.. لا اظنني سأرغب بالقيام بأي عمل اذا عشت هنا ولن ارغب طبعاً بالجلوس خلف مكتب في مصرف طيلة النهار.»

www.liilas.com ausha 333

«ولهذا دون شك تعدين الأيام بالساعة لحين عودتك إلى لندن.» قال بجفاف متابعاً: «لكن ماذا عن ما بعد زواجك؟ هل سيرغب جوليان بمتابعتك العمل؟»

«حسناً، في الواقع جوليان...» وصمت تماماً فحثها قائلاً: «جوليان؟»

فتابعت بتردد: «يريدني ان اتوقف عن العمل فوراً.»

«وهل ستفعلين؟»

«لا اظن ذلك. فأنا لا اتخيل نفسي مجرد سيدة منزل ومضيفة.»

ابتسمت بخفة ثم عضت على شفتها. كيف يمكن لها ان تكون عديمة الوفاء لجوليان هكذا وخاصة امام هذا الرجل من بين كل الرجال؟

مرت امرأة شابة من قربهما وهي تجر عربة طفل عبر الطاولات وتسير امامها طفلة عمرها حوالي السنتين كادت الطفلة الصغيرة ان تتعثر بوصولها إلى طاولتهما فسارعت كاثرين لحفظ توازنها. فضحكت الطفلة لهما مظهرة اسنانها الثلاثة فقط قبل ان تتابع السير.

شكرت الأم كاثرين بابتسامة وتابعت سيرها بدورها.

قال نيكولاس: «يريدك جوليان ان تكوني زوجة، مضيفة وأم بالطبع؟»

«أم؟ ماذا تقصد؟ آه...» توقفت بارتباك لم يتطرق جوليان لموضوع الاطفال اطلاقاً اثناء مناقشة مخططات مستقبلهما الوردي.

«لو كنت زوجتي...» قال نيكولاس وهو يمعن بعدم خجل تلون العاطفة المنعكس على ملامحها: «لكان للأمومة

الموضع الأول والاهم في لائحتي. فوق موضع المضيفة بمراحل.»

لو كنت زوجتي. ان تكون زوجة نيكولاس...

«أنا...» بدأت وهي تحدق به بعينين واسعتين وشعرت باللون الاحمر يضرج وجنتيها، فانحنت إلى الأمام لتتناول حقيبتها لإخفاء وجهها عنه.

قال: «اسمحي لي.» ومد يده ليتناول حقيبتها عنها في اللحظة ذاتها مما تسبب بسقوط الحقيبة من بين اصابعها إلى الأرض حيث تناثرت محتوياتها على الأرض المرصوفة بالبلاط الملون. وقبل ان تتمكن من التحرك كان هو جاثياً على الأرض ململماً اشياءها لاعادتها إلى الحقيبة. مشطها، ماكياجها، دفتر شيكاتها، ومحفظتها المفتوحة الملقاة على الأرض، مد يده لتناول المحفظة فسقطت منها ورقة اعادت كاثرين إلى الواقع فجأة. قفزت كاثرين من مكانها وهتفت: «لا، لا، اتركها، انا سأجمعها.»

رفع نظره اليها لكن وقبل ان تتحرك رمى المحفظة على الطاولة امامها وتناول الورقة عن الأرض، ظل ينظر إلى تلك الورقة حتى وهو ينهض من مكانه ليجلس مجدداً على كرسيه.

«الشبه قريب جداً، أليس كذلك؟» سأل وتعبير غريب يلمع داخل عينيه. حين لم تتفوه بشيء مرر الورقة اليها فأخذت تحدق بها رغم حفظها غيباً لكل خط من خطوط صورتها المرسومة بيده، كل حركة من حركاتها وهي تبعد شعرها عن وجهها وتبتسم بكل عذوبة، لكنها ادركت الآن انه نجح

حينها برسم الخسارة الواضحة داخل عينيها والتي لم تلحظها في صورتها الا الآن.

اجبرت نفسها على الابتسام والقول: «نسيت انني لازلت احتفظ بها حتى الآن.»

اخذت تجعد الورقة بين اصابعها لكنه سارع بالقبض على يدها وفتح اصابعها متناولاً الورقة منها ثم اعاد تمسيدها ووضعها في جيب قميصه فيما كاثرين تجاهد لمنع نفسها من مهاجمته واخذ الورقة منه وهي تصيح انها لي! اعدها لي! ووجدت نفسها تسأله ببرود: «الن ترميها؟»

ابتسم لها وقال: «أرمي باكورة اعمال نيكولاس ديمتريوس الفنية؟ فكري فقط... قد تصبح هذه الورقة ذات قيمة مالية ضخمة في يوم من الايام. قد يشتريها احدهم، بعد مئة سنة من الآن، من معرض فنون في لندن ثم يبدأ البحث عن الفتاة التي تمثلها هذه الرسمة، من كانت الفتاة الجميلة ذات العينين الحزينتين؟»

نظرت اليه بذهول، اذن هو بدوره ايضاً قد انتبه لذلك، اجل هذا مؤكد فهو فنان مرهف الاحساس! ولا بد انه رأى اكثر من مجرد الحزن في ذاك الوجه الفتي اليافع الواضح التعابير...

سمعته يتابع قائلاً: «وسيتقدم احد الأولاد ويقول انا شبه متأكد انها جدتي كاثرين التي مرة في الزمان، وتماماً كما يحدث في القصص الخيالية، ذهبت بعطلة إلى اليونان والتقت رساماً يافعاً وسيماً.»

«لا تكن احمقاً.» قالت ذلك فيما الألم في صدرها كان لا يحتمل.

قال: «آه، آسف.» وضرب جبينه بكفه متابعاً: «نسيت تماماً، لن يكون من احفاد لديك لأن لا وجود للاطفال اصلاً في مخططاتك، صحيح؟»

«انا لم اقل ذلك.» ردت بدفاع ثم سحبت نفساً عميقاً وتابعت: «من فضلك يا نيكولاس لاداع للاقتتال طوال الوقت. الا يمكن ان نكون صديقين؟ فقد كنا كذلك قبل سنوات.»

«لا، لا يمكن ان نكون صديقين.» قال ذلك بصوت قاس شعرت به كالصفعة على وجهها.

فقالت: «تقصد بسبب المنزل؟ لكن ان كنا متحضرين فسنتمكن بالطبع من معالجة هذه المسألة، فمن سيخسر ينسحب بطريقة مهذبة و...»

قاطعها قائلاً بحدة: «انا لا انسحب ابداً بطريقة مهذبة وفي الواقع لا علاقة لهذا بالمنزل اطلاقاً.»

ارتعشت فجأة للتعبير الذي ظهر على ملامحه لكنها قالت: «ما الأمر اذن؟ تصادم شخصيات معاكسة؟ هذا هو الأمر، لا؟ فقد اوضحت منذ البداية انك لم تعد معجباً بي.»

ابتسمت له بخفة لكن حين لم تلق رداً منه تابعت بصوت مرتجف: «لماذا لم تعد يا نيكولاس؟ ذاك اليوم بعد ان... اقصد...»

«افهم تماماً ما تقصدين» قال فجأة: «ذاك اليوم بعد ان قبلتك. لكن اترين يا كاثرين لقد عدت فعلاً.»

«في اليوم التالي؟ لكني كنت على الشاطىء طيلة الوقت و...»

«اعرف.» قاطعها متابعاً: «جلست خلف اشجار اراقبك

www.liilas.com

وانت تسيرين ذهاباً وإياباً على الشاطىء متظاهرة بالبحث عن الاصداف فيما انت في الحقيقة تنتظرين مجيئي.»

أكانت شفافة لهذه الدرجة؟ فانفجرت به قائلة وحزن كل السنوات السابقة في صوتها: «اذن انت كنت تلعب معي لعبة قاسية فقط.»

«لا، لم اكن العب معك، في الواقع كان جلوسي هناك اصعب ما مر علي في حياتي كلها وانا امنع نفسي من الاسراع اليك وحملك بين ذراعي.»

«لكن...» بدأت والفرح يجتاحها ببطء: «لماذا لم تفعل؟»

«لم اجرؤ على ذلك، لأنني وتبعا للمشاعر التي كانت بداخلي حينها وكوني بالطبع يونانياً شاباً بدماء حارة فقد كانت هناك نتيجة واحدة لنهاية ذلك المشهد بحال فعلت. وانت كنت لاتزالين طفلة. مجرد طفلة بريئة لذا فقد بقيت بعيداً.»

«فهمت.» تمتمت وعيناها مركزتان على فنجان قهوتها الفارغ على الطاولة. لم تتجرأ على رفع نظرها اليه كي لا يرى التعبير داخلهما.

«والآن يا كاثرين وبعد ثماني سنوات لا يمكننا ان نكون صديقين كما تقولين لأنك لم تعودي طفلة. ما بيننا الآن يا كاثرين يختلف عن علاقة الصبي بالفتاة.»

«لا شيء بيننا.» سارعت للقول بصوت مرتفع. مد يده وامسك بيدها متحسساً شريانها الذي كان ينبض بشدة وقال بنعومة: «آه، بل هناك شيء ما وانت متأكدة من ذلك مثلي تماماً.»

تسمرت مكانها فيما ابهامه يمسد شريان معصمها ولم

تستطع الا التحديق به ناسية كل ما حولها من اصوات واشكال واشياء.

«لا يمكننا ان نكون صديقين يا كاثرين، لكن يمكن ان نكون حبيبين.»

اشار للنادل واعطاه بعض المال ثم فيما هي لازالت متجمدة على كرسيها قال بهدوء: «هلا ذهبنا؟»

www.liilas.com
OUSHA233
www.liilas.com

الفصل الخامس

أوقف نيكولاس الدراجة النارية خارج السوبر ماركت وترجلت كاثرين بدورها بعد مجاهدتها للتمسك بالمقبض الحديدي الخلفي كي لا تحيط خصره بذراعيها. ومع ان ذلك كان صعباً جداً الا انها نجحت في الوصول سالمة إلى هذه المحطة. فيما دخلا المتجر اعلن بنبرة جازمة: «علينا شراء بعض الاطعمة والمعلبات.»

قالت ببرودة: «عليك السماح لي بدفع حصتي.» هذه افضل طريقة للتعامل معه، البقاء باردة ومتباعدة فلعل ذلك يضعه عند حده، كان هذا ما قررته اثناء ركوبها خلفه على الدراجة النارية قبل وصولهما إلى هذا المكان.

قال حين فتحت فمها للاعتراض: «لكنك ضيفتي في سكايثوس.» لذا التزمت الصمت وعبست خلف ظهره فيما هو يتناول سلة ليضع فيها المشتريات. كيف يعقل انه يعالج الأمور وفقاً لمشيئته معها هي بالذات فيما هو ذاك الشخص الذي يعيش حياته بشكل بويهيمي فوضوي؟ وان كان هذا هو حاله معها فما السبيل للتغلب عليه في مسائل اكبر كمسألة المنزل أو حتى...

«ماذا ترغبين بتناوله على الغداء؟»

ردت: «آه، لا فرق عندي لعل العجة ستكون مناسبة.»

«حسناً.» رد بلهجة مرتاحة: «سأشتري البيض. أيمكنك

احضار بضع علب لبن من هناك؟» واشار إلى رف قريب. فطأطأت برأسها واتجهت إلى المكان لتجد العديد من العلب المتشابهة والمغطاة بالكتابة اليونانية.

ترددت للحظات قبل ان تتناول علبة وتقول له: «هل هذا هو اللبن؟»

«لا، انه جبنة، انظري مكتوب على اللعبة تيري أي جبنة. تلك هي علب اللبن واسمها جياورتي.»

ابتسم لها قبل ان يتابع: «عليّ فعلاً البدء بإعطائك بعض الدروس في اللغة اليونانية. آه، واجلبي أيضاً مرطبان العسل ذاك. سنتناول اللبن والعسل كفطورنا غداً.»

فطورنا غداً... يا للحميمية المشتركة. وهناك حميمية ما في طريقة نطقه بالكلمات تلك وكأنه متأكد انه قبل انتهاء الليل سيكونان متفقين.

«هل تحبين ذلك؟» سألها وابتسامة خبيثة تلون وجهه وكأنه قرأ الفكرة التي تجول بخاطرها.

تجاهلت هي عن قصد مقصده وقالت: «اجل، اتذكر العسل منذ المرة الأخيرة.» ثم استدارت مبتعدة...

• • •

«ساهتم بتنظيف هذه الصحون.»

قالت ذلك ثم جمعت صحون الغداء واتجهت إلى المطبخ سعيدة بوجود حجة لتهربها من رفقته. لم تلق نظرة عليه فيما هو مستلق على الكرسي الهزاز وبيده فنجان القهوة. وضعت الصحون في المجلى ثم فتحت الماء عليها واخذت تحدق بفقاعات الماء، لم تعرف كيف مرت فترة الغداء، كان

www.liilas.com

طعم العجة الشهي كطعم التبن في حلقها، فهي كانت محتجزة في كرسيها امام نيكولاس فيما تلك الكلمات المدمرة التي قالها في المطعم تهيم في الهواء بينهما محولة كل اعصابها إلى كتلة من التوتر المتفجر. سنكون حبيبين... عن قصد وتعمد رفع هو التكليف بينهما إلى أقصى حد.

«سأجفف الصحون.»

جاءها صوته من الخلف فأدركت انه وصل إلى المطبخ بخفة دون ان تشعر هي به اطلاقاً. انزلق الصحن الذي كان بين يديها إلى الماء وقالت دون ان تنظر اليه:

«لا داع لذلك، فستجف الصحون بمفردها.»

«حسناً.» وحين اعتقدت انه عاد إلى غرفة الجلوس شعرت ودون سابق إنذار بذراعيه تحيطان بخصرها واحست به يلتصق بها، استقامت في وقفتها ثم لم تجرؤ على مجرد التحرك لشدة ارتباكها وحنقها.

«اتركني يا نيكولاس من فضلك.»

«اتعرفين يا كاثرين.» قال بنبرة عادية متجاهلاً توسلها: «كنت أقرأ قبل ايام ن استفتاء مثيراً تم اجراؤه... في اليابان على ما اظن. ومفاده انه من بين المناطق الأكثر حساسية في المرأة فان الرقبة هي الأكثر حساسية تجاه قبلات الرجل، هل قرأت ذاك الاستفتاء يا كاثرين؟»

قالت باختصار: «لا.»

«لا انكر البقعة المحددة بالذات... لكني اظنها عند وسط الرقبة.» فيما شعرت باصابعه تبعد شعرها عن

مؤخرة رقبتها ارتعشت بخفة قبل ان تلامس شفاهه الدافئة رقبتها.

«أهذه هي البقعة برأيك؟»

«لا.» ردت بتوتر.

«ما رأيك بهذه هنا إذن؟»

غرزت اصابعها في راحتيها داخل المجلى كي تقاوم الموجة التي كانت تجتاحها.

«آسفة لتخييب ظنك.» تمتمت ببرود مصطنع: «لا شك ان ذلك الاستفتاء غير صحيح.»

وعضت على شفتها بقوة للتحكم برباطة جأشها امام تيار الاحاسيس الذي كان ينتابها للمرة الأولى في حياتها.

وشعرت بنيكولاس يبتسم ابتسامة الذئب خلف ظهرها.

«ايتها الكاذبة الصغيرة.»

شهقت وارتعشت بشدة ثم وقبل ان تنهار مقاومتها انتزعت نفسها بقوة من بين ذراعيه واستدارت لتواجهه.

قالت بصوت مرتجف: «قلت لك اتركني وشأني.»

«لكن هل هذا ما تريدين مني فعله حقاً؟»

«اجل وبكل تأكيد.» قالت ذلك وهي تنظر إلى يدها حيث كادت اظفارها ان تدمي راحتها وإلى خاتمها وتابعت: «لعلك نسيت انني مخطوبة.»

«لا، لم انس، هل نسيت أنت؟» سأل بنبرة شبه مرحة لكن عينيه لم تكونا كذلك اطلاقاً وتابع: «تعالي إلى غرفتك حين تنتهين من هنا.»

وفيما رفعت رأسها اليه بذهول تابع: «لقد وعدت

www.liilas.com

بإخراج لوحاتي من غرفتك اتذكرين. بإمكانك مساعدتي بذلك.»

راقبته من طرف عينيها وهو يغادر كالفهد. حتى انه كان يدندن بسعادة... يا لثقته بنفسه! ويا لعجرفته! رمته بنظرة قاتلة وهو يغادر ثم ضربت قبضتها بقوة على الطاولة.

ما الذي قالته لنفسها؟ ستضعه عند حده، والآن باقترابه منها للمرة الأولى ذابت كلياً بين يديه. هل اليونان ام هو شخصياً هو السبب في تصرفها غير المتوازن هذا؟ سألت نفسها هذا السؤال بيأس، مهما كان السبب فان ارادت مقاتلته فعليها محاولة المقاومة لا ان تستسلم بمجرد لمسه لها.

لكن اليس هذا ما ينويه ذاك الوقح بالضبط؟

سألت نفسها فجأة. التهديد، الوعد، أو مهما كان ذلك في ذاك المقهى على الميناء والآن هذا الإغواء الصريح المدروس، أليس هذا تخطيط منه يهدف إلى إعادتها إلى انكلترا طالبة من جوليان حمايته وتاركة إياه كمنتصر يوناني هنا؟

أجل، هذا مؤكد، يا له من محتال. حسناً، هي لن تهرب كفارة جبانة... هذا لن يحدث أبداً.

«أخيراً.» قال ذلك فور ظهورها عند عتبة غرفتها واقترب منها مناولاً إياها مجموعة من اللوحات ومتابعاً: «خذيها إلى الاستوديو في آخر الممر.»

«آه، طبعاً سيدي، أي شيء آخر يا سيدي؟» تناولت اللوحات منه وحملتها إلى الغرفة التي اشار اليها ورمتها على الأرض قرب كومة أخرى، استدارت لتغادر لإحضار

المزيد حين توقفت ونظرت حولها، ذهلت رغم إرادتها بجمال الاستوديو هذا، كان هناك قاعدة الرسم والعديد من الريش وحناجر التلوين وكان القميص الابيض الملطخ بالألوان مرمياً على الأرض. سارعت كاثرين لرفعه وتعليقه مكانه لكنها أبقته بين ذراعيها لبعض الوقت وقد لامست أنفها رائحة نيكولاس المميزة المنبعثة من القميص. ظلت دون حراك لبضع ثوان قبل ان تعيد تعليقه بغضب مكانه وتستدير مغادرة المكان.

«هذا جيد.» قال وهو يناولها كمية أخرى من اللوحات ويسير خلفها حاملاً لوحة ضخمة غير مكتملة تصور المنظر الطبيعي من شرفة الفيللا.

وضعت اللوحات مكانها فيما انحنى هو وظهره لها ليضع اللوحة غير المكتملة بتؤدة على الجدار المقابل.

كان قد بدل ملابسه وعاد لارتداء الشورت الجينز وحده. وجدت كاثرين نفسها تحدق بظهره البرونزي البراق.

استدار فجأة وكأنه شعر بنظراتها على ظهره والتقت عيونهما للحظة حارقة شعرت كاثرين بلسعة حرارتها في اعماقها.

لحظة طويلة مرت قبل ان تجبر نفسها على القول: «لديك العديد من اللوحات هنا.»

استقام ببطء واقترب منها قائلاً: «تقع هذه الغرفة كما ترين على الواجهة الغربية ولديها هذه النافذة الضخمة.» اشار إلى النافذة الضخمة التي تدخل اكبر كمية ضوء ممكنة إلى الداخل وتابع: «سمح لي جيرالد بتحويلها إلى استوديو للرسم يمكنني استخدامه كلما يحلو لي.»

www.liilas.com

«لم اعرف ان علاقتك به كانت عميقة لهذه الدرجة.»

في الواقع هي لم تكن تعرف شيئاً عن نيكولاس حين التقته تلك المرة قبل سنوات، لم تكن تعرف اسم عائلته أو اين يعيش، كان يظهر قربها كل يوم وقد تقبلت ذلك برضى. وهي لم تخبر جدها عنه بل احتفظت بسر لقاءاتهما لنفسها..

هز كتفيه قليلاً وقال: «لم تكن معرفتنا كذلك بالبداية. ليس اثناء تواجدك هنا، كان حينها صديقاً لوالدي. لكني تعرفت عليه بعد ذلك.»

قالت: «فهمت.» كان قريباً جداً منها وشعرت بنبضها يتسارع لمجرد ذلك وكأنه كان فعلاً يلمسها. فسارعت للابتعاد بضع خطوات عنه وسألت: «هل يمكنني القاء نظرة على لوحاتك؟»

اجابها: «طبعاً.» انحنى على حافة النافذة واخذ يراقبها وهي تتنقل من لوحة لأخرى.

كانت معظم اللوحات تصور مناظر طبيعية فاتنة، حية ونابضة بالحيوية، فيما امواج البحر هادرة على الرمال حيناً وعلى الصخور حيناً آخر.

لكنها توقفت امام مجموعة أخرى من اللوحات التي تواجه الجدار. اخذت تفتحها وتنظر اليها واحدة تلو الأخرى، ووجدت ان اللوحات كلها لفتاة واحدة... فتاة شابة وفاتنة الجمال. احياناً كان شعرها الحريري الأسود منسدلاً على كتفيها واحياناً أخرى كان مرفوعاً، لكن الوجه دوماً هو ذاته..

تابعت النظر إلى حوالي نصف دزينة من تلك اللوحات

وهي مدركة لعيني نيكولاس المركزتين عليها ثم توقفت فجأة بذهول لرؤيتها لوحة للفتاة ذاتها وهي مستلقية على سرير واسع وإحدى يديها خلف رأسها وهي تحدق بالرسام.

واستطاعت كاثرين رؤية التنورة الملونة القصيرة والكنزة القطنية الزهرية. ليس الملابس هي ما خطف بصرها وجعلها تحدق بها بل عيني هذه الفتاة. عينان سوداوان واسعتان تلمعان.

«هل اعجبتك؟» سألها وبدا لها ان صوته يأت من عالم آخر.

ردت بجفاف: «لقد رسمت اللوحة بشكل جيد.»

«انها ايلينا، العارضة المفضلة عندي.»

هل هذه مخيلتها ام ان صوته تلون بالدفء وتابع: «لطالما جلست أمامي كي ارسمها.»

أراهن على ذلك، قالت كاثرين بنفسها بحنق، سألها برقة: «ما الأمر يا حلوتي، لا تشعرين بالغيرة منها، أليس كذلك؟»

«الغيرة؟» رددت وضحكت بازدراء متابعة: «الغيرة من فتاة واضح انها لا تساوي اكثر مما تبدو عليه.»

«يا لهكذا جملة بشعة لوصف هكذا جمال انثوي.» قال بإغاظة وادركت انه لم يكن يقصد الفتاة بعينها.

اعادت اللوحة إلى مكانها واستقامت متأوهة جراء شعورها بالخدر في ساقها. فيما ترنحت سارع هو للإمساك بها وبظرف لحظات كان يقبلها.

قررت بالبداية عدم التجاوب معه محاولة اقناع نفسها ان ما يفعله مجرد خطة لطردها لكن امام إصراره لم تعد قادرة

www.elibrary.com

على المقاومة ووجدت نفسها ترد عناقة متجاوبة معه بقوة لم تعهدها موجودة لديها من قبل، افلتها اخيراً لكن دون ان يبعد ذراعيه عنها فرفعت نظرها اليه بعينين ذاهلة دون ان تراه للحظات.

ثم رأت الابتسامة الخفيفة على فمه وكادت ان تسقط أرضاً من الغيظ من نفسها لولا انه كان يمسك بها.

قالت بعد ان استعادت رباطة جأشها: «انت تضيع وقتك سدى يا نيكولاس، اذا اعتقدت ان بإمكانك إغوائي فاعدك انك لن تنجح.»

قال: «كلمات شجاعة.» وظل يحدق بها بتفكير للحظة ثم تابع: «هل انت امرأة تحب المراهنة؟»

«لا، لست كذلك.»

«لا يهم.» قال بابتسام متابعاً: «اترغبين بأن ارسمك يا كاثرين؟»

«ماذا؟» صاحت وهي تحدق به وهي بالكاد تسمع ما يقوله بسبب خفقات قلبها المتسارعة العالية. وتابعت: «اظنك تقصد بهذه الطريقة؟» ونظرت بامتعاض إلى اللوحة التي امامها.

«طبعاً ان أردت...»

«لا، لا اريد.»

«لا، لم اظنك ستفعلين.» قال ذلك باحتقار مما فجر فتيل غضبها وتابع: «لكني اؤكد لك انه حين ارسم فتاة فان عقلي كله يكون مركزاً فقط على الضوء والظل، وعلى نوعية البشرة وليس على أي شيء آخر.»

«تقصد كما كان الحال مع ايلينا؟» سألت وقد اندفعت

الكلمات من فمها دون ان تتمكن من ردعها وتابعت: «اظنها كانت مجرد ضوء وظل، أليس كذلك؟»

أجابها: «لا بأس، لربما لم يكن الأمر كذلك بالضبط.» وشعرت كاثرين برغبتها بالانقضاض عليه وغرز اظفارها في وجهه لابعاد تلك الابتسامة الخبيثة عن شفاهه وتابع: «لكني سأرسم لوحة جميلة ومحترمة لك.»

«حسناً...» ونظرت اليه وهي تفكر في أن قضاء الساعات الطوال برفقة نيكولاس في الاستوديو كانت مستحيلة، لكن على الأقل هذا سيمنعه من التسلل إلى مكتب المحامي...

تابع نيكولاس قائلاً: «يمكنك اعطائها إلى جوليان كهدية زفاف، هذا اذا رسمتك بطريقة ماهرة بالطبع.»

«حسناً.» رددت ببطء: «كنت سأهديه مجموعة من الاسطوانات فهو يعشق الموسيقى الهادئة.» وحين لاحظت تعابير وجهه تابعت: «وما عيب ذلك؟»

«لا شيء، الأمر فقط انني احب موسيقى الجاز وبالذات البلوز.»

اجل، فهذا يليق بك، قالت كاثرين في نفسها، تلك الموسيقى الصاخبة المثيرة.

«حسناً.» تمتم: «سيكون رسم الوجه والاكتاف بحد ذاته تحدياً.»

«انا لم اقل بعد انني سأجلس امامك لترسمني.» تابعت ببرودة: «لكن في حال فعلت فلماذا تعتبر ذلك تحدياً؟»

فأجابها: «كي تظهر كاثرين الحقيقة طبعاً.»

رمته بنظرة منزعجة وسألت: «ماذا تقصد؟»

www.liilas.com aisha223

«إزالة القناع عن وجهك كي اظهر كل الأشياء المثيرة المختفية خلف ذلك الوجه الجميل وتلك العينين العسليتين الكبيرتين.»

«لكني لا أخفي شيئاً من شخصيتي، هذه انا على حقيقتي.» احتجت بقوة لكنه اكتفى بالابتسام لها.

وقال: «سأختار لك ما ترتدين.»

«انها لوحتي انا وانا من سيختار ملابسي.» قالت ذلك وهي تقف وراءه واسرعت خلفه إلى غرفتها.

«هذه ستفي بالغرض.» قال بعد ان اخرج نصف الملابس من خزانتها وناولها كنزة طويلة الاكمام من القطن الهندي السميك مع تنورة سوداء وبيضاء ضيقة وقصيرة متابعاً: «بدلي ملابسك.»

احتجت قائلة: «لكني لا احب هذه الكنزة، لقد احضرتها فقط في حال برد الطقس.»

«سأجهز عدتي.» كان هذا كل ما قاله قبل ان يغادر الغرفة.

ضربت الأرض بقدمها بإحباط. ما الذي ورطت نفسها به؟ لا بد انها جنت، لكن في حال اعجب جوليان باللوحة فستكون هدية زفاف ممتازة، ولكن هل ترغب هي بوجود جزء من نيكولاس معها في غرفة جلوسها؟

حين خرجت كان هو يسير على الشرفة، وعندما رآها تمتم شيئاً ما باليونانية ثم قال: «اين كنت حتى الآن لم اطلب منك الخضوع لجلسة تجميل مدتها ثلاث ساعات. الاضاءة ممتازة بهذا الوقت.»

قالت: «آسفة.» ورمته بنظرة عدائية من بين رموشها.

«هيا.» وتناول قاعدة الرسم وحقيبة المعدات على كتفه.

وقفت على رأس السلالم وسألت: «لكن الن نذهب إلى الاستوديو؟»

«لماذا؟ سأرسمك في بستان الزيتون بالطبع.» لكنها لم ترغب برسم نيكولاس لها هناك. ارادت ان ترسم في الاستوديو الآمن.

قالت: «لا.» لكنه كان قد ابتعد...

«اقطفي باقة من الأزهار.» طلب منها ذلك وهو يرتب الوانه متابعاً: «حسناً ما الذي تنتظرين؟»

كان صوته قاسياً وآمراً في نفس الوقت فسارعت إلى اطاعته.

«هل يكفي هذا؟» سألته وهي ترفع باقة من أزهار السوسن والنرجس واللافندر والاقحوان الرائعة بتماوج الوانها الطبيعية.

قال: «جيد.» وبالكاد نظر اليها ثم تابع: «والآن اجلسي هناك قرب جذع الشجرة تلك، لا، ليس تلك...» ثم دفعها برفق إلى جذع شجرة زيتون قديمة ثم جلس امامها فيما بدا التركيز يتحكم بكل ملامحه.

«ضعي يدك باسترخاء قرب الجذع، اجل، هكذا.» باسترخاء؟ كيف بإمكانه الاعتقاد انها قادرة على الاسترخاء ولو للحظة واحدة؟ ثم تابع: «فيما اليد الأخرى تمسك بالأزهار في حضنك.. هكذا.» قطب فجأة قائلاً: «لماذا سرحت شعرك؟»

«أردته ان يكون مرتباً بالطبع.»

«مرتباً.» ردد ونظر إلى السماء ثم تابع: «لا تتحركي.»

وتغلغلت اصابعه عابثة في شعرها جاذبة خصلاته إلى ما حول وجهها وقال: «هذا افضل.»

«لكني لا...»

«اصمتي. الآن...» رتب تنورتها قبل ان يبتعد قليلاً لينظر اليها.

كان محقاً، لقد اصبحت بالفعل مجرد ظلال واضواء ومادة للرسم له، حتى ولو جلست امامه شبه عارية لما اختلفت عن أي فتاة أخرى امامه. عنفت نفسها على هكذا تفكير.

«ظننتك سترسم الرأس والأكتاف فقط.» قالت له وهو ينظر اليها من البعيد بإعجاب.

أجابها بتودد: «هذا ما ظننته بدوري، لكن ذلك سيكون خسارة كبرى.»

سألت بشك: «لم؟»

«لقوامك الجميل بالطبع، حسناً، انظري إليّ.»

امرها فرفعت عينيها اليه بتردد وسمعته يتابع: «الآن ادخلي إلى اعماقك، وفكري بما شئت.»

وتسلل المنظر إلى اعماقها وهي مستلقية وسط الأزهار وبتلاتها الملونة المخملية تلامس خدها بنعومة فيما يقترب احد الرجال منها...

«اجل، هذا هو المطلوب.»

سمعت صوت نيكولاس بغموض يتفوه بتلك الكلمات.

عادت لصورة خيالها وفي البداية كان وجه الرجل المقترب منها في الظل غير واضح المعالم، لكنها ادركت ان المقترب ليس جوليان، آه، جوليان اين انت؟ صرخت

بصمت، لكن نيكولاس نهض حينها واتجه إلى لوحة الرسم...

هب نسيم عليل وحرك خصلات الشعر على جبينها بدون وعي حركت ساقها قليلاً وشعرت بألم في عضلاتها بعد ساعات من البقاء على نفس الوضعية الساكنة ونظرت إلى نيكولاس.

كان غارقاً كلياً في الرسم، تماماً كما كان حاله طيلة الوقت وتقطيبة التركيز ظاهرة على جبينه، من مكانها وحيث كانت الظلال وضوء الشمس الباهت ينير وجهه بدا اصغر سناً، لربما اصغر سناً بثماني سنوات. فيما نظرت اليه وعادت بالذاكرة إلى الوراء سقطت على جبينه خصلة شعر سوداء فيما هو ينحني لتناول شيئاً ما من حقيبته الملقاة على الأرض.

تمنت كاثرين لو كان بامكانها الاقتراب منه وابعاد تلك الخصلة عن جبينه ومسح خطوط التركيز تلك عن جبهته. وجالت عيناها من وجهه إلى كتفيه وشعرت بشيء ما يعتصر داخلها وتسارعت نبضات قلبها.

اعتراها ذعر مفاجيء، ما الذي تفعله أو تفكر فيه؟ بعد كلماته القاسية في المقهى تعتبر هكذا تخيلات آخر ما تتمنى مجرد التفكير فيه.

تململت بمكانها لا إرادياً وسمعت صوته المعنف قائلاً: «إبق ساكنة.»

حاولت يائسة لإجبار عقلها على التشبث بشيء واقعي لذا سألته: «أي من الرسامين تفضل؟ باستثناء نفسك بالطبع.»

www.liilas.com

ابتسم قائلاً: «لا اعجب بنفسي معظم الاحيان. فقط احياناً اشعر بنصف رضى عما ارسم. وأنت أي من الرسامين تفضلين؟»

«لا اعرف الكثير عن الرسم لكني احب فان غوغ لأنه يستعمل كل تلك الألوان والانحناءات المذهلة، لدي نسخة عن لوحته حيث هناك قبرة تطير فوق حقل ذرة، بإمكانك الشعور بالرياح تعبث بأكواز الذرة وسماع صوت القبرة منبعثاً من طيات اللوحة. النظر إلى تلك اللوحة يفرحني حتى في ايام الحزن.»

ابتسمت له لكنه لم يبادلها الابتسام.

قال برقة: «لكن بالطبع بخطبتك إلى مدير مصرف شاب وبوجود خطط مستقبلية شديدة الدقة لك فانت لن تواجهي اياماً حزينة.»

كان كالقطة التي تستعد للهجوم فور ارتكاب الفار لغلطة بسيطة فردت قائلة: «الا يواجه الجميع ذلك؟»

فأجاب: «ربما، لكن اتعرفين يا كاثرين لقد نضجت واصبحت امرأة مليئة بالتناقضات.»

ما الذي يرمي اليه الآن؟ تساءلت كاثرين في نفسها وسألته: «ماذا تقصد؟»

«الدور البارد الذي تلعبينه...»

«ليس هذا بدور تمثيلي، وعلى كل حال...»

«لكنك رغم ذلك اغرمت بلوحة الصحراء خاصتي والآن تخبريني انك تجدين رسم فان غوغ لا يقاوم. هذا مزيج غريب، قوي، مزيج من الجليد والنار.»

قالت: «هذا هراء.» واجبرت نفسها على الضحك

باستهتار. وتابعت: «لمجرد اعجابي بلوحة جميلة.» واشاحت بوجهها بعيداً عنه...

«يكفي هذا.» قال اخيراً ووضع الفرشاة جانباً ثم تمطى باسترخاء.

ساعدها على النهوض وسألها: «هل انت بخير؟»

«اظن ذلك.» ردت وهي ترى الارهاق واضحاً على كل ملامحه، وهي نفسها كانت تشعر بالتعب في كل انحاء جسمها جراء جلستها الطويلة.

سألته: «هل انت قاس دوماً هكذا مع عارضاتك؟»

قال برقة: «ليس دوماً.»

وتساءلت كاثرين عما اذا كان يفكر بإيلينا المستلقية على ذاك السرير؟

تباً لإيلينا وتبا لنيكولاس قالت لنفسها بحنق وهي تتجه إلى المنزل تاركة إياه يجمع اغراضه.

كانت في المطبخ تضع أزهارها في المزهرية حين وصل.

قال: «لا داع لتزعجي نفسك بها، فستحتاجين إلى باقة أخرى غداً.»

«غداً؟ الم تنتهي من اللوحة اليوم؟»

«بالطبع لا، لقد رسمت الخطوط الاساسية فقط.»

إذن سيكون هناك المزيد من جلسات الرسم في بستان الزيتون، المزيد من ساعات التفكير المر...

«ايمكنني رؤية ما رسمته حتى الآن؟»

«لا، ليس قبل ان انتهي تماماً، وفقط بحال سرني ما رسمته.»

www.liilas.com

«هل ابدأ بتحضير الطعام؟»

استدار اليها قائلاً: «لا داع لذلك. فانا أرغب بتناول الطعام في المقهى.»

«آه، إذن سيفتح المقهى الليلة؟»

«هذا محتمل.» رد ببرودة: «سأذهب للاستحمام والحلاقة.» مرر يده في شعره الكثيف وسألها بإغاظة: «انا بحاجة لذلك، الا تعتقدين؟ أم لربما انت تفضلينني هكذا؟»

«لا اكترث البتة لأي من الأمرين.» قالت ذلك بكبرياء فاكتفى هو بالابتسام بخبث قبل ان يغادر الغرفة.

انتظرت في غرفتها لحين سماعها صوت باب الحمام يفتح ثم صوت باب غرفته يغلق خلفه، خرجت إلى الممر وشاهدت اثار اقدامه الرطبة على الأرض الخشبية وشمت رائحة عطره المميزة العابقة في المكان. استمتعت بهذه الرائحة للحظات ثم هزت رأسها ودخلت الحمام.

حين خرجت إلى الشرفة وجدته جالساً على الدرجات وقد ارتدى قميصاً ابيض اللون وبنطالاً رمادياً وكان يضع نقنه بين يديه ويتأمل المنظر امامه، توقفت عند عتبة الدار غير راغبة بإزعاجه لكنه دون شك سمع وقع خطاها لأنه استدار ونهض.

وقف ينظر اليها للحظات طويلة وندمت هي على ارتدائها هذا الثوب بالذات.

نقل بصره من رأسها حتى اخمص قدميها ببطء شديد ثم رفع نظره إلى وجهها ثانية والتقت عيونهما وبرقت بشيء خطير جعل الهواء كالتيار الكهربائي بينهما للحظات طويلة قبل ان تنطفىء جذوة ذاك البريق مجدداً.

«انه بالغ الأناقة نسبة إلى المقهى، اليس كذلك؟» قالت ذلك بقلق ورفعت يدها بعصبية إلى شعرها المنسدل على كتفيها.

أجابها: «لا.» بصوت اوحى اليها انه بالكاد سمعها. «لأن بإمكاني تبديله ان كان كذلك.»

وتمنت لو انها ارتدت البنطال والكنزة الزرقاء بدل ارتداء هذا الفستان الزهري ذي الياقة المنخفضة والقصير الذي يظهر جمال وتناسق قوامها.

«لا، لا تبدليه.» تابع وهو يرميها بنظرة مرحة: «وما رأي جوليان بهذا الفستان؟»

«حسناً...» ترددت قليلاً ثم دفعتها صراحتها لقول الحقيقة فتابعت: «في الواقع هو لم يره بعد.»

«إذن انت ترتدينه لي انا شخصياً، اشعر بالإطراء.»

«لا، بالطبع لا افعل.» ردت بحرارة: «الحقيقة ببساطة انني اشتريته فور رؤيتي له وقبل مجيئي إلى هنا بساعات، رأيته فأحببته فاشتريته.»

«اشتريته فور رؤيتك له؟ لكن لا يسمح مدير مصرف متزمت بشراء الاشياء بعفوية سريعة هكذا، كما ولا يسمح ان تكون زوجته فاتنة هكذا. حرير زهري يلامس جسد امرأة بنعومة أو...»

«هلا ذهبنا؟» قاطعته بصوت مرتفع: «انا اشعر بالجوع.»

كان المقهى الصغير شبه مختف بين اشجار الزيتون وكان محتشداً بالزبائن ويضج بالأصوات وتمنت كاثرين للحظة لو انهما بقيا في الفيلا. لكن ذلك كان ليعني

وجبة طعام حميمية أخرى لذا فالأفضل لها المجيء إلى هنا.

فور دخولهما المكان اشارت مجموعة من الشبان لنيكولاس الذي قال لها: «اجلسي هنا، لن اتغيب سوى للحظات.» وذهب لملاقاة من ناداه.

احضرت لها نادلة شابة قائمة الطعام فتظاهرت كاثرين بقراءتها بعد ذهاب الفتاة لكنها في الواقع كانت تراقب نيكولاس من اعلاها، وشعرت بنفسها تحسده على سعادته الدائمة، ففور وصوله إلى مجموعة اصدقائه اضحى هو مركز الاهتمام والضحكات والتربيت على الكتف. لا بد ان هذا رائعاً. وتساءلت هل تمتع والداها يوماً بالسعادة الحقيقية، وهل تمتع بها جوليان؟ ردت على نفسها بغضب ان لا بد وقد حصل ذلك، كيف بإمكانها ان تكون عديمة الوفاء لثلاثتهم هكذا؟ الأمر فقط ان سعادتهم تكمن في اشياء أخرى وبطرق مختلفة، طبيعة نيكولاس الحيوية والعفوية جيدة الآن كونه في بداية الثلاثينات لكن ماذا عن المستقبل؟ هل سيبقى سعيداً هكذا بحياته غير المسؤولة هذه؟

كان حقاً كجدها ذاك «الهيبي العجوز» كما كان يحلو لوالدها نعته. وهنا في هذا المقهى بالذات قام جدها بذاك الرهان الذي اوصلها إلى الورطة التي تتخبط بها الآن. لا، لوالديها ولجوليان عمقاً وثباتاً لن يحظى بهما نيكولاس ابداً...

جلس على الكرسي امامها وقال: «آسف لتركك بمفردك، لكني اعرف جيورجيو ذاك الذي يضع قميص جامعة

هارفارد الأزرق منذ كان بمثل هذا الطول، وهذه... ماذا يسمونها ليلة وداع العزوبية خاصته، فهو سيتزوج في الغد.»

قالت بصدق: «هيا اذهب وانضم اليهم. حقاً لا مانع لدي بذلك...»

«صه.» قاطعها وهو ينحني إلى الأمام واضعاً اصبعه على شفاهها برقة وتابع: «الآن، ماذا تريدين لن تأكلي.»

«ماذا؟» سألت بغباء فيما لازالت تشعر بضغط اصابعه على فمها وتابعت: «سآخذ سلطة يونانية ثم طبق موساكا من فضلك.»

كانا يحتسيان القهوة اليونانية حين لاحظت كاثرين ان الساحة وسط المقهى قد افرغت من الطاولات. وجلست على طرفها فرقة موسيقية بدأت العزف فوراً وهرع إلى الساحة عدداً من الشبان والشابات للرقص.

كانت الرقصة عبارة عن الدبكة اليونانية الشهيرة، اخذت كاثرين تراقب الراقصين باستمتاع حين اشار احدهم لنيكولاس بالانضمام اليهم فهز كتفيه وابتسم لها قبل ان ينضم للراقصين.

ادارت كاثرين نظرها في المكان للحظة ووجدت مجموعة من الفتيات الانكليزيات جالسات إلى إحدى الطاولات القريبة منها، ووجدت بذهول ان انظارهن مثبتة على الراقصين، لا، ليس على كل الراقصين بل على نيكولاس بالذات، عيون نهمة، جشعة وعفوية، شعرت كاثرين بالخجل الشديد، فلا يفترض بمطلق امرأة النظر إلى الرجل بتلك الطريقة.

www.arabook.com

كانت الموسيقى هادئة بالبداية والرجال يتحركون مع وقع النغمات الشرقية الهادئة التي لم تلبث ان ازدادت قوة وحدة، وجدت كاثرين نفسها تحدق بنيكولاس وحده وتتمايل داخلياً مع حركة صدره وساقيه.

وعادت تلك الخصلة المتمردة لتنسدل على جبينه وهو يحرك رأسه مع الموسيقى التي اصبحت صاخبة الآن. لم تعد ترى احداً إلا هو، ولم تعد عيناها تتأملان الا حركاته وتمايله، ومرت لحظات طويلة قبل ان تدرك انها تنظر اليه، واليه وحده بنهم وشجع وإغواء...

ausha 233

OULOUSSEA233
www.liilas.com

الفصل السادس

هل جنت تماماً بالفعل؟ عضت على شفتها لكنها اطلقت تنهيدة تعاسة رغماً عنها، تلك الأحلام في بستان الزيتون صباحاً والآن هذا، بعد يوم واحد من وصولها إلى اليونان ها هي ابنة الرابع وعشرين ربيعاً الهادئة الواثقة تتصرف كالمراهقة الواقعة في الحب الجامح. أهذا هو الوضع؟ هل هي تحيا مجدداً عذاب ما قبل ثماني سنوات؟ ولأجل الرجل ذاته؟ مهما كان ما تمر به فعليها كبح جماح هكذا عواطف هدامة وبسرعة.

انتبهت ان الموسيقى تغيرت وانها لم تعد رقصة الدبكة. وشاهدت شابين من مجموعة اصدقاء نيكولاس يتجهان إلى طاولة الفتيات الانكليزيات فيما كان نيكولاس يتحدث إلى العريس صديقه. فيما حدقت هي به استدار فجأة وكأنه شعر بأنها تنظر إليه ونظر مباشرة اليها. ثم ربت على ظهر العريس وتركه عائداً اليها.

وقف امامها وتلك الابتسامة التي بدأت تعتاد عليها تلون وجهه ومد لها يده قائلاً: «تعالي لنرقص.»

كانت كلماته امراً اكثر منها طلباً مهذباً لكنها تقلصت على كرسيها. تراقص نيكولاس على انغام موسيقى حالمة؟

«لا، شكراً، لا أرغب بذلك.»

لكنه كان يشدها وهي تتكلم واحاط خصرها بذراعه وسحبها إلى ساحة الرقص متجاهلاً رفضها. رأت كاثرين

عيون الانكليزيات الحاسدة وهن ينظرن اليها لكن ذلك لم يساعدها على تهدئة اعصابها.

ظلت مشدودة الاعصاب في البداية، مصممة على عدم الاستسلام ومراقصته، لكن ذلك استمر للحظات قصيرة فقط، فمع الموسيقى وضغط اصابعه على ظهرها وجدت جسدها يلين ويميل مع كل حركة من حركاته.

كان نيكولاس يقربها منه مع كل حركة وفي النهاية غمرتها تلك الموجة الساحرة ووجدت نفسها تستمتع بمراقصته وبالمشاعر التي كان يثيرها قربه منها. وحين توقفت الموسيقى ظلت مكانها للحظات تحدق به ثم اعادتها اصوات الضحكات والاحاديث حولهما إلى الواقع فانتزعت نفسها مما بدا نوماً عميقاً وابتعدت عن ذراعيه.

«سوف... سوف اغادر الآن فأنا متعبة جداً. لكن إبق انت هنا من فضلك.»

انطلقت خارج المقهى وكادت تتعثر بالحصى. لكن فور وصولها إلى الطريق المؤدي إلى الفيللا سمعت صوته خلفها يناديها فاضطرت لتخفيف سرعة خطاها ولحظات كان قربها.

«نسيت هذه.» قال وهو يناولها حقيبتها فتناولتها منه دون ان تنظر اليه.

«شكراً لك.» ردت بتلعثم: «لكن لم يكن من داع لإزعاج نفسك بهذا، كان بإمكانك اعطائي إياها صباحاً.»

«لا بأس فقد اردت المغادرة انا بدوري.»

وضع ذراعه بخفة حول كتفيها وتركته يقودها عبر الممر. كان هواء الليل الدافىء يشعل كل حواسها فيما

رائحة ازهار الياسمين تدغدغ انفها بامتزاجها مع رائحة عطر ما بعد الحلاقة خاصته.

حين اوشكا على دخول المنزل اخذ طائر ما بالتغريد، كان تغريده بالغ العذوبة لدرجة ان كاثرين حبست انفاسها.

سألته: «ما هذا الطير؟»

اجاب: «انه عندليب، لا بد انه على شجرة الزيتون تلك.» دفعها برفق نحو مصدر الصوت ووقفا تحت الشجرة فيما غناء العندليب فوقهما يغرقهما بالألحان العذبة. لكن اخيراً علا نباح كلب ما في القرية فسارع العندليب بالرفرفة بعيداً.

قالت: «كان ذلك رائعاً.» وهي لاتزال تحت سحر روعة ذاك التغريد.

«هناك العديد من طيور العندليب على الجزيرة، الم يسبق لك سماع غناء احدهم في الماضي؟»

اجابته: «ربما. لا انكر.» لكن أي شيء ما كان ليضاهي روعة استماعها للتغريد هذه الليلة ونيكولاس إلى جانبها. فيما استدارت استعداداً للعودة إلى المنزل اشتدت ذراعه حولها وادارها لمواجهته. كان وجهه قريباً منها وانفاسه تلامس بشرتها.

«كاثرين.» قال وحتى صوته اضاف سحراً إلى سحر الليل وحين لامس بأصابعه شفاهها ارتعشت بشدة.

«لا، لا يا نيكولاس، ارجوك.» أنهت جملتها بتوسل باك وهي تجاهد لتتحرر من قبضته: «ارجوك، اتركني.»

حدقت به والتمعت دموعها على وجنتيها فمسحها بإبهامه.

www.elbassam.com aisha233

وكرر: «كاثرين، يمكنك الهروب مني هذه الليلة. سأسمح لك ان تفعلي ذلك.» وترك معصمها متابعاً: «لكن كلانا يعرف، انت وانا، انها مسألة وقت فقط قبل ان تتوقفي عن مقاومة ما هو حتمي بيننا.»

«لا.»

«بلى يا حلوتي، كان هذا موجوداً بيننا قبل ثماني سنوات حين كنت طفلة ولازال موجوداً الآن وانت امرأة وهذا اكيد كشروق شمس الصباح فوق التلال غداً، قريباً جداً ستستسلمين، سترحبين بي وستريدينني بالمقدار ذاته الذي اريدك به.»

وقف هناك ولم يحاول لمسها لكنها شعرت بوجود قوة داكنة في داخله تواجه إرادته بإرادتها. شعرت بتلك القوة تحيط بها، تخل توازنها تغرقها وتشل مقاومتها. لكنها لن تشل، لن تستسلم. تسلحت بآخر رمق من قوتها وتراجعت خطوتين عنه رافعة يديها لمقاومة تلك القوة.

«لا، قلت لك لا.» قالت بحرارة: «لا اريدك، لم أردك يوماً ولن اريدك يوماً.»

ثم سارت من امامه وتوجهت إلى المنزل.

كانت في غرفتها حين سمعته يصل فيما تسمرت مكانها وعيناها على الباب سمعت صوت وقع خطاه. فتح بابا واغلقه ثم فتح آخر وبعدها ساد الصمت، تنهدت بارتياح وتناولت قميص نومها لتبدل ملابسها.

مر وقت بلا نهاية وهي تحدق بالقمر في الخارج عبر نافذتها. ألقت نظرة على الساعة قربها فوجدتها الواحدة والنصف ليلاً. النوم يجافيها والحرارة تكاد تخنقها، رفعت

عنها الغطاء الخفيف ونهضت عن السرير. عليها استنشاق الهواء النقي وإلا اختنقت.

وضعت عليها رداءها وفتحت الباب بهدوء وتسللت للخارج. كان الصمت يلف كل شيء، أخيراً كان احدهم مستغرقاً بنوم عميق. خرجت إلى الشرفة ثم انتعلت حذائها الرياضي الخفيف وسارت إلى الخارج.

فور وصولها إلى الشاطىء ظهر القمر من خلف الغمامة التي كانت تخفيه مرسلاً ضوءه الفضي على الرمال، وضعت ذراعيها حول صدرها وسارت ببطء على الرمال بقدميها العاريتين بعد ان نزعت حذاءها، سارت إلى طرف المياه حيث انغرزت قدماها في الرمل الرطب ومياه البحر الباردة ترسل فيها الانتعاش.

في ليلة اثناء ذاك الصيف البعيد لم تكن قادرة على النوم جراء تفكيرها في الرجل ذاته، وقد اتت إلى الشاطىء هذا حينذاك وبعفوية لا إرادية اخذت تسبح في المياه تظن ان ذاك التصرف كان العمل المندفع الوحيد الذي قامت به في حياتها، واحياناً أخرى تعتقد ان تلك السباحة كانت من نسج خيالها وانها لم تحدث يوماً...

في انكلترا عادت مرة والدتها من رحلة تسوق ووجدتها تجلس تحت اشعة الشمس في حديقتهم الخلفية المخفية عن الأنظار.

تنهدت والدتها حينها وهزت رأسها قائلة: «لم تفدك تلك العطلة في اليونان اطلاقاً، فأنت لم تفعلي شيئاً منذ عودتك من هناك الا التسكع دون اي عمل، ما كان يجدر بنا السماح لك بالذهاب إلى هناك أصلاً.»

لم يرتكبا الخطأ ذاته في الصيف التالي طبعاً، وبعد ذلك تركت هي المدرسة والتحقت بالمصرف وهناك قابلت جوليان...

حدقت كاثرين بالمياه حول قدميها ثم فجأة وبحركة لا شعورية نزعت عنها رادءها وغطست في المياه دون ان تسمح لنفسها بدقيقة للتفكير. اخذت نفساً عميقاً وغطست في العمق واخذت تسبح بقوة وكأنها تطرد شيئاً ما من عقلها ثم استلقت على ظهرها والسعادة تغمرها لبرودة المياه، واخذت تنظر إلى السماء المزينة بآلاف النجوم في الأعلى.

سبق وأخبرها جدها انه تحت هذه النجوم ذاتها اغرم باريس، أمير طروادة، بحب هيلين وحطم مملكته كلها لأجلها، الأرجح ان جدها كان على حق، فبإمكانك القيام بأشياء مجنونة تحت هكذا نجوم وفقدان كل ذرة تعقل لديك بسهولة.

عادت للسباحة نحو الشاطىء حين تسمرت مكانها بذهول لرؤيتها اقتراب احدهم منها من صوب اشجار الصنوبر.

ظلت مكانها ورأت نيكولاس ينزع رداءه ويحدق بالمياه للحظة فيما ضوء القمر يلقي بظلاله على وجهه قبل ان يغطس بالمياه ويبدأ السباحة.

ادركت انه لم يرها، فهي كانت بعيدة عن مجال نظره. اذا بقيت دون حراك لحين ابتعاده فسيمكنها السباحة بهدوء إلى الشاطىء ثم العودة للمنزل بسرية.

لكن شيئاً ما حدث بتلك اللحظة، لعلها سمكة التي لامست

ساقها؟ صاحت كاثرين لا إرادياً بصوت خافت لكن ذلك كان كافياً ليسمعها.

«كاثرين؟ أهذه انت؟»

«اجل... لا، ابتعد.» بدأت بذعر حين وجدته يقترب منها. كان يعوم بطريقة سريعة وقوية وادركت ان لا مجال امامها للهروب منه الآن.

حين وصل إلى جانبها اخيراً كان شعره رطباً وعيناه تبرقان بقوة.

سألها بقسوة: «ما الذي تفعلينه هنا وحدك؟»

«لم استطع النوم.»

«حسناً، حين تعانين ثانية من الأرق فالأجدى بك التنزه.»

«سأفعل ما يحلو لي.» قالت بعناد يخفي ما بداخلها من ذعر.

«ليس طالما وانت تحت سقف منزلي.»

ردت بغضب: «لست تحت سقف منزلك وعلى كل حال ما الذي تفعله انت باللحاق بي هكذا؟»

«لم أعلم يا عزيزتي انك هنا وإلا لما ازعجت نفسي بالمجيء. حين أبدأ الرسم اشعر برغبة في التحرر والانطلاق إلى البعيد وحدي.»

«حسناً، كن ضيفي إذن فأنا يسرني تركك بسلام.»

وادارت ظهرها له واخذت تسبح باتجاه تركيا.

كانت قد ابتعدت انشات قليلة فقط حين امسك بمعصمها بقوة واجبرها على التوقف بعد ان غطس رأسها في الماء واخذت تسعل باختناق.

www.liilas.com

«اتركني...»

«اصمتي، ان لم تعودي إلى الشاطىء بنفسك فسأعيدك بنفسي.»

فيما صارعت هي بذعر لتتخلص من قبضته فشلت محاولاتها واخذ يسحبها إلى الشاطىء وقبضته حول معصمها كالحديد. وصلا إلى المياه الضحلة.

«لا، اتركني.» صاحت وافلتت معصمها من يده فشدها بقوة اليه.»

«بلى يا حلوتي.»

«لا.»

فجاة ترأى لها وجه جوليان! ما الذي تفعله بخيانتها له هكذا؟ غمرها الخجل والذل.

«لا، لا يا نيكولاس، ارجوك... لا أريد...»

شيء ما في رعب صوتها تسلل اليه فرفع رأسه ونظر اليها.

وضعت يدها على فمها وتابعت: «آسفة... لكني لا استطيع.» ارتعشت بشدة وتابعت: «جوليان...» ثم غرقت في بكاء حار.

حملها نيكولاس بين ذراعيه، قاومت ذلك بالبداية لكنها في النهاية استسلمت لذلك وتركته يمسد شعرها كالطفلة وهي تشهق بدموعها، ومرت الدقائق وتحول نحيبها إلى بكاء خفيف وهادىء.

ابعدها قليلاً عنه ونظر إلى وجهها الرطب وسألها بانفاس متقطعة: «هل انت بخير الآن؟»

ردت بارتباك: «اجل.»

«لم تكوني كذلك.»

وشدها مجدداً إلى صدره فهمست: «آسفة، انا المذنبة في هذا.»

«هذا لم يكن ذنب احد. ولم يكن ذنبك انت بالتأكيد.»

شدها اليه ثانية ثم عاد ليتركها.

قال بجفاف: «لربما هذا لن يكون حكيماً.» وشعرت باختفاء حدة التوتر منه وتابع: «انتظري لحظة.»

استقام وذهب إلى حيث رداءه ورداءها وجلبهما.

«انهضي.»

وابتسم بخفة لها لكنها لم تستطع مبادلته الابتسام.

كان شعرها مبللاً ومنسدلاً حول وجهها بخصلات رطبة فتمتم: «تبدين كحورية، حورية صغيرة وحيدة لا تعرف تماماً ما الذي يحدث لها.» وجمع خصلات شعرها واضعاً المنشفة حول رأسها.

فيما حدقت هي به بصمت التوى فمه بابتسام وقال: «لا تقلقي، انا لن اهجم عليك مجدداً. الليلة ليست ليلتنا.»

لا، ليس الليلة، لكن سيكون هناك ليال أخرى، ليال يونانية حارة سحرية، خائنة وعفوية تدفعها للتصرف بطريقة غريبة كلياً عليها...

«آه يا كاثرين.» قال وهو يهز رأسه متابعاً: «ما الذي أتى بك إلى هنا هذه الليلة.»

قالت بصوت مرتعش: «اخبرتك، لم استطع النوم... اظن السبب هو احتسائي القهوة في المقهى، فهي اقوى مما انا معتادة عليه.»

قال وكأنه يوافقها على كذبها: «طبعاً.»

www.liilas.com

قالت بسرعة: «إبق هنا وتمتع بالسباحة بوسعي العودة وحدي إلى المنزل... بوسعي ذلك حقاً.»

تردد وخشيت للحظة الا يوافقها لكنه عاد وهز كتفيه قائلاً: «لك ما شئت.»

بوصولها إلى سور الصنوبر استدارت ونظرت اليه. كان نيكولاس يخلع رداءه مجدداً استعداداً للعودة إلى السباحة. ظلت واقفة مكانها للحظة ثم استدارت وسارت بسرعة إلى المنزل.

www.liilas.com
ousha 233
OUSHA233
www.liilas.com

الفصل السابع

«هيا انهضي.»

وفيما ازيحت الستارة عن النافذة وغمر ضوء الشمس الغرفة استيقظت كاثرين من حلم مزعج كانت ضائعة فيه وسط ضباب مخيف وكلما حاولت الهروب منه كان يقف في طريقها رجلاً رائع البنية بشعر اسود كثيف وعينين زرقاوين داكنتين.

فتحت عينيها فامتزج الحلم بالحقيقة حين وجدت نيكولاس قرب سريرها.

«قلت لك انهضي.» ردد ثانية: «هناك عمل علينا إنجازه.» اين هي رقة البارحة؟ سألت نفسها لكن اين تلك العاطفة الجياشة الجامحة أيضاً؟ ان كانت تلك بدورها قد تبخرت فهي ترحب بمزاجه المتفجر هذا، ادارت رأسها لتنظر إلى الساعة وقالت باحتجاج: «لكنها بالكاد تجاوزت السادسة صباحاً.»

«هذا مؤسف، الإضاءة ممتازة الآن.»

«آه تباً للإضاءة وتباً لك أيضاً.»

ردد بصوت جاف: «الإضاءة ممتازة الآن. لذا أريد الذهاب إلى هناك ومباشرة الرسم.»

التقت عيناهما بنظرة طويلة ثم قالت بصوت عذب: «حاضر ايها المستبد، اعطني عشرين دقيقة فقط.»

«عشرة.»

صاحت به وهو يغادر الغرفة: «بل عشرين.» وضربت قبضتها على وسادتها.

اتجهت نحو المطبخ بعد ربع ساعة بالضبط، قاسمة الوقت بينهما، ووجدته قد انهى احتساء فنجان قهوته.

«في الوقت تماماً.» تمتم لكنها تجاهلته وسمعته يتابع: «هيا بنا.»

«أنا لم اتناول فطوري بعد.»

فرد قائلاً: «ظننت نساء هذا العصر لا تتناولن الفطور.»

«آسفة لكني افعل.» قالت ذلك وهي تجلس وتسكب لنفسها القهوة متابعة: «وان لم تكن منتبهاً اكثر للهجتك فانا لن اجلس امامك كي تكمل اللوحة اطلاقاً اليوم.»

قال بسيطرة جليدية على نفسه: «آسف، لم اسمع ما قلته.»

«الم تسمع حقاً؟» رددت وهي تحضر لنفسها سندويشاً من العسل واللبن.

قال: «حبيبتي...» واهتزت يدها دون ارادتها وهي تمسح العسل على الخبز وتابع: «لا آبه لإظهار عارضاتي الغضب علي، ان كنت تعرفين ما هو الأفضل لك...»

تنهد بعمق ثم مسد شعره باصابعه وتابع: «حسناً يا كاثرين لنعقد هدنة... على الأقل لحين انتهائي من اللوحة.»

«حسناً.» قالت بصوت خافت وعضت على شفتها قبل ان تتابع: «لكني اعتقد فعلاً انه من الأفضل... لو استأجرت غرفة في القرية.»

عادت الابتسامة الساخرة التي تعرفها إلى وجهه وسأل: «ما الأمر، الا تثقين بي؟»

لا، لا اثق بك ولا اثق بنفسي أيضاً، تراقصت هذه الكلمات على طرف لسانها لكنها تدبرت أمر ردعها.

ردت بثقة: «بل أثق بك بالطبع، لكن فقط في حال كنت في شك من الأمر فاؤكد لك ان ما حدث لن...» احمرت وجنتاها بشدة وتابعت بارتباك: «ما حدث ليلة البارحة لن يتكرر أبداً.»

قال: «آه.» وطأطأ رأسه وكأنه تلقى معلومات بالغة الأهمية وقال: «لكنك كنت على حق، اتعرفين؟ في اليونان أيضاً التملك هو تسعة اعشار القانون. وإذا غادرت الفيللا.» هز رأسه بأسف متابعاً: «سيكون هذا بمثابة اعتراف ضمني منك ان ادعائك بملكية المكان مجرد هراء، هذا مؤسف، لقد اخبرتك انني استمتع بمقاتلة امرأة جميلة وقوية.»

«إدعائي ليس هراء وانت تعرف ذلك تماماً.» أجابت بذلك بسرعة في ظل خوفها من البقاء مع نيكولاس تحت سقف واحد، لكن هذا الرعب كان يتبخر في النهار والشمس مشرقة لكن فور حلول الظلام كان الذعر يعود مجدداً اليها. الذعر من تبخر مقاومتها ومن استسلامها لما كانت تشعر به في داخلها وحينها ما كانت تفكر في المنزل ولا للحظة واحدة. لكنها لن تستسلم في مسألة ملكية المنزل وإلا كان معنى ذلك استسلامها بكل شيء آخر.

«الليلة ليست ليلتنا.» هذا ما قاله لها مما يعني ان هناك ليال أخرى قادمة ستكون ليلتهما ضمنها... ابتلعت ريقها بصعوبة.

هل من داع لخوفها هذا؟ لقد برهن لها نيكولاس ليلة البارحة انه ليس ممن قد يفرض نفسه بقوته عليها فغروره

www.dvd4arab.com aisha 2233

وثقته بنفسه يخبرانه ان عليه الانتظار لحين قدومها طائعة اليه ولهذا كل ما عليها فعله هو متابعة الرفض، متابعة ترديد كلمة لا، لا، لا...

قال بلطف: «يسرني اتفاقنا على هذه النقطة.» ثم فتح خزانة الطعام متابعاً: «سنأخذ معنا الطعام. فهذا يوفر علينا وقت العودة إلى هنا لتناول الغداء.»

راقبته كاثرين وهو يحضر زجاجة عصير، مشمش، خبز جبنة ثم أحضر خضار السلطة. خيار، بندورة، بصل، زيتون وخضار طازجة، تم تقطيع كل شيء بمهارة ثم وضع كل شيء في وعاء واضافه إلى محتويات السلة.

وجدت نفسها تحدق بيدي نيكولاس، يدان ناعمتان وجملتان لا تظهر ان صاحبهما يقوم ببعض الأعمال الصعبة كقيادة الدراجات النارية وحلب الماعز حين لا يبيع لوحاته.

بوصولها إلى بستان الزيتون قطفت كاثرين باقة أخرى من الأزهار فيما كان نيكولاس يجهز عدته. ثبتها في الوضع ذاته الذي كانت عليه في اليوم السابق.

«تباً، ما الذي فعلته بشعرك؟» سأل بحنق وهو يمسد شعرها بقوة آلمتها.

«تبلل بالماء ليلة البارحة.» قالت دون ان تنظر اليه: «ولم يتسنى لي الوقت لغسله هذا الصباح، اتذكر؟ سأذهب واغسله ان شئت.»

قال بامتعاض: «لا، لا تزعجي نفسك بذلك. سيفي بالغرض.» ذهب إلى لوحة الرسم وتابع: «حسناً لنحظى بنفس تعبير البارحة.»

كلا، هذا لن يحدث، فهي لن تسمح لتلك الخيالات الخائنة

بالعودة اليها، لكن حين قطب نيكولاس وضرب بريشته على ساقه، استسلمت مجدداً للأزهار والروائح ولسحر المكان...

نظرت اليه عبر طاولة العشاء من تحت رموشها. لم يكن من داع لسرية النظرة تلك فهو اصلاً كان يحدق بخشب الطاولة كما كان حاله منذ بداية العشاء والتقطيب يعلو جبهته.

تنهدت في داخلها، انها تواجه هذا الوجه الصامت المتجهم من شخصية نيكولاس منذ الظهيرة، هذه الشخصية الغامضة المعقدة، المزاجية والتي يصعب التكهن بتصرفاتها.

وارتعشت داخلياً حين تذكرت صراخه بها حين حركت ساقها للحظة اثناء الرسم وقد اخافها غضبه ذاك والزمها الصمت منذ ذلك الحين.

كان الآن يحرك السكر في فنجان قهوته وحركة الملعقة الرتيبة تلعب على اوتار اعصابها لدرجة انها شعرت برغبة في انتزاع الملعقة من يده ورمي الفنجان بعيداً عن الشرفة.

رفع نظره اليها بتلك اللحظة وارجع كرسيه للخلف ثم نهض.

«إلى اين انت ذاهب؟»

«لمتابعة عملي بالتأكيد.»

«تقصد متابعة لوحتي؟»

«وماذا غير ذلك؟»

«لكنك عملت عليها بما فيه الكفاية اليوم.» واضافت لنفسها، والتعب والإرهاق يبدوان بوضوح عليك. لكنها لم

www.liilas.com

تستطع النطق بذلك فتابعت: «أليس من الأفضل لك لو بدأت بنشاط...؟» لم تتابع جملتها حين شاهدت التعابير القاسية على وجهه.

«افترضت انك ترغبين بأخذها معك إلى خطيبك جوليان عندما تسافرين.»

وحين رفعت نظرها اليه ازداد حدة جفاف نبرته وهو يتابع: «لديك فرصة لمدة اسبوعين فقط من المصرف، اتذكرين؟ ومما اعرفه عن المصارف فهي تتمسك بشدة بفترة العطلات المحددة، ولا اظن من الملائم لزوجة مدير المصرف الشاب التسكع في جزيرة يونانية. فهذا قد يخلق انطباعاً خاطئاً كلياً.» تلاعبت سخريته بأعصابها المتوترة وهو يكمل: «وأيضاً اتساءل ما الذي سيقوله جوليان العزيز بذاته؟»

قالت: «قلت لك اترك جوليان خارج هذا الأمر، هلا فعلت؟»

وضربت قبضتها على الطاولة امامها.

«بكل سرور.» توقف للحظات ثم تابع: «اشعر بالفضول لمقابلته ولرؤية الاتجاه الذي سلكه ذوقك فقط.»

رسمت ابتسامة احتقار على شفاهها وقالت: «لن أرد على هذا يا نيكولاس، لمجرد انك في مزاج سيء منذ الصباح وتحاول اطلاق غضبك عليّ واغاظتي، اهاناتك تجعل اعصابي باردة وجليدية.»

«باردة.» ردد بسخرية: «ما كنت لأتفوه بكلمة أدق من تلك يا حلوتي، اجل ارغب بمعرفة نوع الرجل الذي وجدته مناسباً كشريك زواج.»

«لست مضطرة للاستماع لهذا.» قالت وهي تنهض من مكانها بقوة جعلت الكرسي يندفع أرضاً مصدراً ضجة كبيرة، ثم سارعت إلى غرفتها.

بعد وقت قصير خرجت من غرفتها، لم تجده على الشرفة وكان مزاجها لازال متفجراً فسارت مغادرة المنزل إلى المقهى.

مرت من جانب مجموعة من السياح وهي متجهة إلى كشك الهاتف الذي شاهدته ليلة البارحة. دخلت الكشك واتكأت إلى الباب لتهدىء من روعها ولتسعيد انفاسها قبل اتصالها بوالدتها.

فيما وضعت يدها على سماعة الهاتف ترددت وعضت على شفتها. عليها فعلاً محادثة جوليان، فقد وعدته بذلك. لكن اعصابها كانت لاتزال متوترة جراء مزاج نيكولاس السيء هذا اليوم وجراء إذلال ليلة البارحة وهي تعلم ان جوليان سيكون غاضباً. لا، ستكلم والديها وتخبرهما بالأمر ولينقلاه له بمعرفتهما.

لكن فكرة ردة فعلهما جعلتها تتردد للحظة لكنها عادت واستجمعت قواها وطلبت الرقم. فرغم كل شيء، القرار الذي توصلت اليه بعد تفكير طويل طيلة النهار هو قرار صائب لن يجبرها أحد على تبديل رأيها. إنها لم تطلع نيكولاس على قرارها بعد فهي لم ترغب برؤية بريق الانتصار في عينيه.

تم الاتصال سريعاً وكانت كاثرين غارقة في افكارها حين قاطعها صوت والدتها: «ألو، نعم.»

«أمي هذه انا كاثرين.»

«اهلاً حبيبتي، كيف حالك؟»

www.liilas.com

«انا بخير شكراً لك.»

«وماذا بشأن الفيللا. آمل الا تكوني واجهتي المشاكل بسببها.»

«ليس تماماً...» بدأت كاثرين كلامها لكن والدتها قاطعتها قائلة: «عليك الانتباه والتشبث برأيك حيال ذلك المحامي اليوناني كما تعلمين، جميعهم متشابه وخاصة حين يتعاملون مع فتاة وحيدة، قلت لك كان عليك السماح لوالدك أو لجوليان بمرافقتك...»

«لا يا أمي، كل شيء بخير.» اخذت نفساً عميقاً ثم تابعت: «الموضوع يا امي انه...»

«على كل حال اظنك راغبة بالتحدث إلى جوليان الآن.» رددت كاثرين بغباء: «جوليان؟»

«اجل، بالطبع يا حبيبتي.» قالت والدتها وضحكت بخفة متابعة: «لقد نسيت اليس كذلك؟ اليوم هو الخميس وجوليان هنا يلعب شطرنج مع الطبيب ونترتون، سأناديه.»

«لا، ارجوك لا تفعلي.» سارعت كاثرين للقول: «انظري عليّ اطلاعك على أمر ما.»

«لكن كاثرين...» قالت والدتها وقد ارتفعت حدة صوتها: «لا يعقل انك تقصدين هذا. انظري عليك مكالمة جوليان قبل قيامك بأي تصرف أحمق، يجب ان يرشدك هو إلى الصواب سوف...»

«لا، لا استطيع، لقد نفدت مني الدراخما، سأتصل مجدداً متى؟ ما هو اليوم؟ الخميس اجل سأتصل ثانية يوم الأحد. إلى اللقاء بلغي حبي للجميع.»

اعادت السماعة إلى مكانها وصوت احتجاجات والدتها

يتردد في أذنيها، وقفت مكانها للحظات تفكر قبل ان تغادر المكان.

حين عادت إلى المنزل كانت مصابيحه كلها مضاءة لكن لم يكن من أثر لنيكولاس. لا بد انه خلد إلى النوم تاركاً المصابيح مضاءة لها.

دخلت المنزل بهدوء وأطفأت الاضواء بطريقها إلى غرفتها لكن بوصولها إلى باب الاستوديو نصف المفتوح توقفت. كان نيكولاس في الداخل وظهره لها وهو يعمل على لوحته، قربه على الطاولة كان هناك مسجلة ينطلق منها لحناً ناعماً لأغنية بلوز شهيرة.

كان منخرطاً تماماً في عمله، لذا كان من الآمن تماماً لها الوقوف على عتبة الباب مراقبة إياه بصمت وقد اجتاحتها رغبة بضم ذاك الرأس الداكن مجدداً إلى صدرها.

ضرجت الدماء وجهها واستدارت بارتباك لتبتعد حين استدار نيكولاس بدوره فجأة وسألها: «ماذا تريدين؟»

لم يحاول الاقتراب منها وحين لم تجب شتم باليونانية ثم كرر السؤال: «قلت لك ماذا تريدين؟» كانت نبرة صوته الغاضبة كالصفعة على وجهها وللحظة فكرت بالعودة إلى كشك الهاتف لإخبار والدتها انها بدلت رأيها لكن لا، ولا حتى مزاج نيكولاس المتفجر هذا سيدفعها إلى تغيير قرارها.

«هل استطيع رؤيتها؟» وحاولت النظر من خلفه إلى اللوحة.

فأجاب: «هل انت غبية أم ماذا؟ قلت لك لا، لا تستطيعين ذلك.»

www.elibrary.com 233

«سأخلد للنوم إذن.»

«اجل، افعلي ذلك.» وحين لم تتحرك من مكانها قال: «حسناً؟»

فاستدارت واتجهت إلى غرفتها وهي تحاول التخلص من المشاعر الغريبة التي تتملكها.

• • •

كانت تجلس خلف نيكولاس على دراجته النارية بطريق العودة من القرية إلى الفيللا، فقد قرر نيكولاس تناول العشاء في المنزل الليلة لذا فهما بحاجة لشراء بعض الحاجيات من السوبر ماركت.

سألها نيكولاس: «اتريدين اللحم المجفف أم القريدس؟»

قالت: «اظن القريدس. اعرف وصفة جيدة جداً وهي وصفة صينية.» ابتسم قليلاً لقولها ذلك وتابعت هي: «لذا بإمكانك العمل في الاستوديو فيما انا احضر هذا الطبق.»

اوقف نيكولاس دراجته بعنف عند وصولهما إلى الفيللا وترجل عنها ثم قبل ان تلتقط انفاسها حملها بين ذراعيه وانزلها عن الدراجة وذراعيه حول وسطها وهو يبتسم لها وادركت ان مزاجه قد تبدل كما صارت معتادة عليه.

«كاثرين.» قال بصوت معسول.

«ماذا؟»

ابتسم لها قائلاً: «لا شيء مجرد كاثرين.»

رفع يده مبعداً خصلة شعر متمردة عن جبينها، لكن فجأة نظرت عيناه إلى ما خلفها وتجمدت اصابعه.

قال: «حسناً، حسناً يبدو ان لدينا رفقة.»

استدارت كاثرين بقوة فيما نهض الرجل الذي كان جالساً على كرسي على الشرفة واقترب من الدرجات. حدقت به بعدم تصديق ثم تفوهت بكلمة واحدة فقط بصوت مبحوح ومخنوق قائلة: «جوليان!»

www.liilas.com
OLOSEA233
www.liilas.com

الفصل الثامن

قال بصوت بارد: «أهلاً كاثرين.» وحين لم يقترب منها دفعها نيكولاس برفق نحو الدرجات بسخرية.

صعدت كاثرين الدرجات وهي تشعر بالدوار ولا شعورياً رفعت يدها لتمسيد شعرها. كان جوليان غاضباً، غاضباً غاضباً جداً، فوجهه الشاحب عادة كان متضرجاً بالاحمرار وفمه ملتو بقساوة.

وادركت ان العينين الزرقاوين تنظران إليها بفضول وتراقبان لقاء الأحبة المفاجيء، لكن حين ابتسمت لجوليان ورفعت وجهها اليه اكتفى بتقبيل خدها بسرعة بأبرد تحية وتراجعت هي عنه.

«يا للمفاجأة السارة.» قالت ذلك بسعادة مصطنعة واضحة: «لكن ما الذي تفعله هنا؟»

رد ببرود: «ظننت السبب واضحاً. بعد اتصالك غير العادي ليلة البارحة شعر والداك بالقلق الشديد عليك، لذا ورغم وجود موعد بالغ الأهمية لي هذا المساء، اضطررت للمجيء إلى هنا بأول رحلة.»

قالت بانزعاج: «لكن لم يكن من داع لذلك.» اصر والدها وجوليان في وقت سابق على عدم قدرتها على الاهتمام بمسألة وصية جدها وحدها والآن عند أول إشارة لوجود متاعب ها قد جاء احدهما إلى هنا.

رد بحنق صارم: «يبدو لي ان هناك كل داع لذلك.» قبل ان

تتمكن من الرد شعرت بوقوف نيكولاس خلفها حاملاً أكياس المشتريات.

قال نيكولاس: «سآخذ هذا إلى المطبخ يا كاثرين.» ثم نظر إلى جوليان متابعاً: «ستبقى معنا لتناول العشاء طبعاً.»

نظر جوليان اليه وإلى قميصه الأبيض والجينز القديم ثم عاد بنظره إلى كاثرين قائلاً: «ربماستقومين بواجب التعارف عزيزتي؟»

«اجل، طبعاً.» قالت بتلعثم: «جوليان هذا نيكولاس ديمتريوس، نيكولاس هذا جوليان غراي خطيبي.»

«سررت لمقابلتك يا جوليان.» قال نيكولاس ذلك بلهجة مصطنعة وتابع: «اخبرتني كاثرين الكثير عنك.»

فيما رمته بنظرة غاضبة تصافح الرجلان بعدم ود واضح، سأله جوليان بغضب: «انت تعيش في سكايثوس اليس كذلك؟»

ابتسم نيكولاس مظهراً اسنانه الرائعة وقال: «هذا صحيح.»

«وانت جار لكاثرين اليس كذلك؟»

«ليس تماماً.» رغم نظرتها المتوسلة تابع: «انا أعيش هنا.»

«آه، آسف، لا بد من وجود خطأ ما.» قال جوليان وهو ينظر إلى كاثرين: «هل أتيت إلى المنزل الخطأ؟ بدا سائق السيارة متأكداً...»

«لا.» قاطعه نيكولاس بجفاف: «لا خطأ. هذه فيللا انجيلكا.»

تقلصت عينا جوليان وهي تنتقل من احدهما للآخر وبدأ: «لكني لا افهم...»

قاطعته كاثرين بسرعة: «انتظر يا عزيزي. كل هذا شديد التعقيد. لنجلس وسأشرح لك.»

«صحيح، سأضع هذه المشتريات مكانها.» سألهما نيكولاس ببرود: «اترغبان بكوب عصير؟ لربما شاي؟»

لكن ابتسامته لم تخدعها ورمقته بنظرة غاضبة.

أجاب جوليان: «ليس الآن، شكراً لك.»

فطأطأ نيكولاس رأسه ودخل وهو يصفر لحناً مرحاً، عندما جلست كاثرين على الكرسي تنهدت بارتياح للياقة نيكولاس على الأقل بتركها وحدها لتشرح الوضع لجوليان.

قال جوليان وهو يجلس بدوره: «الآن، لربما ستكونين طيبة كفاية لاطلاعي على ما يحدث.»

سألته بارتباك وكأنها تجهل قصده: «تقصد بخصوص اقامة نيكولاس هنا؟»

أجابها بسخرية: «هذا اضافة لأشياء أخرى، أجل، مثلاً اين تقيمين؟»

«حسناً.» قالت واللون الأحمر يضرج وجنتيها: «في الواقع انا اقيم هنا أيضاً.»

«فهمت.»

قالت بصوت مرتفع: «لا، لم تفهم.»

«آه، هيا يا عزيزتي.» تابع وفمه يلتوي بامتعاض: «تتوقعين مني التصديق انك هنا وحدك... انا افهم انكما تقيمان هنا معاً.»

«اجل، هذا صحيح.» تابعت بتردد: «لكن...»

قاطعها قائلاً: «وانه لم يحاول التحرش بك؟»

«جوليان!» صاحت به ووجهها يكاد يتفجر من الغضب.

قال باستهزاء: «اليونانيون مهووسون، انهم جميعاً متشابهون.»

«يا لهذا الهراء.» تابعت مجبرة نفسها على الضحك بانفعال: «لكن حتى وان حاول ذلك فانا مخطوبة لك اليس كذلك؟»

وفيما عادت ذكرى تلك الليلة على الشاطىء شعرت بسكين الذنب يمزقها وقفزت من مكانها فجأة متابعة: «واثق انك لا تريد كوب عصير؟»

«واثق تماماً.» وفيما جلست بتردد ثانية تابع: «انت لم تشرحي بعد ما الذي يفعله هو هنا.»

أجابت كاثرين بتوتر: «حسناً، كما ترى كان نيكولاس هنا حين وصلت.»

«هل يقيم هنا بالقوة؟» هتف جوليان متابعاً: «حقاً يا كاثرين لماذا لم تتخلصي منه؟»

«لكن الأمر ليس بهذه البساطة.»

«بل هو كذلك بالطبع. كل ما يحتاجه هؤلاء هو معاملتهم بشدة... وان لم تفعلي فانا سأفعل، اين اقرب مركز شرطة هنا؟»

«لا، لقد اخبرتك ان الأمر معقد بشدة. انه يطعن بادعائي بأحقية امتلاكي للفيلا.»

«ماذا؟» صاح جوليان بدهشة: «لكن لا يمكنه ذلك.»

«أخشى انني قادر على ذلك.» رد نيكولاس وقد ظهر على

www.liilas.com aysha 2013

الشرفة فجأة حاملاً كوب عصير بيده وسار اليهما ثم اتكىء على حافة الشرفة.

«لربما ستتلطف وتطلعني على أسس ادعائك هذا؟»

قال جوليان ذلك بصوت مهني بارد وشاهدت كاثرين الرجلين يقيّمان بعضهما البعض بنظراتهما وادركت ان احدهما لم يعجب بالآخر.

رد نيكولاس ببرود: «الأمر بكل بساطة ان والدي ربح الفيللا برهان مع جد كاثرين.»

«رهان؟» ردد جوليان وهو يضحك بازدراء: «وتتوقع مني تصديق هذا؟ وما الدليل الذي تملكه على صدق هذا... الرهان؟»

«ورقة اللعب التي تحمل التوقيعين وتوقيع الشاهد على ذلك في المقهى.»

«المقهى! كنت لأعرف ذلك. ودون شك انه كان متعباً لدرجة لم يعد بها يعرف اسمه.»

انغرزت اظافر كاثرين في راحتيها وهي تقول: «انا واثقة انه لم يكن كذلك يا جوليان.»

«آه، هيا الآن يا كاثرين.» رد جوليان بسخرية جعلت الغضب يشتعل داخلها وتابع: «انه العجوز المعروف باستهتاره. آسف عزيزتي لكن كلانا يعرف انه كان... دون شك ضائعاً ولاهياً لدرجة تمنعه من ادراك ما كان يحدث. هذا سيكون الطعن الأمثل في قضيتنا في حال وصلت هذه القضية إلى قاعة المحاكم.»

كان هذا تقريباً ما سبق وقالته لنيكولاس لكن سماعها جوليان يتفوه بذلك زاد من حنقها.

سألها جوليان بحدة: «وما الذي كنت تفعلينه انت بهذا الشأن؟»

«حسناً، نحن... اقصد انا... ذهبت لرؤية السيد جونايدس محامي جدي.»

«وماذا قال؟»

«في الواقع.» ترددت مدركة ردة فعله الحتمية ثم قالت: «يعتقد ان له الحق بذلك.»

التوى فم جوليان وقال: «حسناً، بالطبع سيقول ذلك، لا؟ فاليونانيون يدعمون بعضهم دائماً.»

رأت كاثرين من زاوية عينها قبضة نيكولاس تتكور وللحظة اعتقدته سيلكم جوليان بها.

كان الرجلان طويلا القامة وقويا البنية لكن من المؤكد ان جوليان هو من سيلقى على أرض الشرفة الخشبية على الفور بحال وقع الاقتتال بينهما، لكنها تنفست الصعداء حين أرخى نيكولاس قبضته.

«لا تزعج نفسك بهذا الموضوع.» قال نيكولاس ببرود: «ستافروس جونايدس محامي كاثرين وليس محامي انا وهو جدير بالثقة بكل قضاياه المهنية.»

استرخت للحظة. فحسب علمها ان الضيف أو الزائر مكرّماً ومحترماً لدى اليونان ولهذا فنيكولاس ما كان ليضربه اصلاً.

لكن صوتا ما بداخلها تردد ان بإمكانه ان يكون بيزنطياً بكل معنى الكلمة بحال فقد اعصابه.

تعمد جوليان تجاهل ملاحظة نيكولاس قائلاً: «يبدو لي يا عزيزتي انك اسأت معالجة هذه المسألة منذ البداية.

www.elbassam.com aisha 233

وفيما يتعلق بمكالمة الهاتف التي اجريتها أنت ليلة البارحة ولو لم تقفلي الخط قبل وصولي لأتيحت لي الفرصة لمحادثتك... لأقنعتك بالتخلي عن فكرتك المجنونة تلك بإلغاء مخططاتنا.»

انتقلت نظرات نيكولاس من جوليان اليها وتشابكت عيونهما للحظة، لكنها لم تستطع معرفة ما يفكر به. «حتى مجرد التفكير ان ذلك سيعني اللعب كلياً بين يدي... الخصم.»

«لكنك تشعر بذلك فور رؤيتك لبستان الزيتون وحقل الأزهار.» سارعت كاثرين لتتابع بحرارة: «تعال معي وسأريك ذلك الآن.»

عدا عن أي شيء آخر كانت متلهفة للابتعاد عن تلك العينين الساخرتين الزرقاوين واللتين لم يفتهما شيئاً مما كان يجري.

«حسناً.» قال جوليان بتحفظ: «لكن اولاً بدلي ملابسك يا عزيزتي فتلك البلوزة لا تليق بك اطلاقاً. آه، وارفعي شعرك أيضاً، تبدين مثل...»

قاطعه نيكولاس قائلاً برقة: «تبدو مثل حورية الغابة.» مما جذب نظر الاثنين إليه.

قطب جوليان حاجبيه وادركت كاثرين حجم التوتر المسيطر بينهما فسارعت بالقول: «حسناً لن اتغيب سوى لدقيقة.»

ودون ان تنظر إلى نيكولاس سارعت بدخول المنزل. اثناء عبورها غرفة الجلوس التقط انتباهها انعكاس صورتها في المرآة الضخمة هناك، حدقت بنفسها للحظات

قصيرة مشاهدة الشعر المشعث بشكل غجري والتي. شيرت التي اشترتها بدورها باندفاع والتي كانت اكبر قليلاً من حجمها لذا كانت الياقة تتجه نحو اليمين تارة ونحو الطرف الآخر طوراً آخر.

«تبدو مثل حورية الغابة...»

حدقت بنفسها للحظة أخرى ثم تراجعت من امام المرآة وهرعت إلى غرفتها.

تناولت رداءها ودخلت الحمام كي تستحم، كانت المياه باردة ومنعشة على جسدها الحار لكنها امضت دقائق قليلة تحت المياه وفيما كانت تجفف نفسها شمت رائحة عطر نيكولاس المميز. لا بد انه نسي اغلاق الزجاجة، لكن حين فتحت الخزانة. وجدت الزجاجة محكمة الاغلاق فصفقت كاثرين باب الخزانة تباً له! وجوده يحتل كل المنزل لدرجة انها لن تتحرر منه ابداً...

في غرفتها سرحت شعرها ورفعته بشكل ذيل حصان ثم ارتدت ما يحب جوليان وهو عبارة عن قميص أبيض قطني وتنورة بيضاء وزرقاء طويلة.

حين اغلقت باب غرفتها وصلتها اصوات حديث آتية من الاستوديو لا من الشرفة.

فهرعت إلى هناك وخفق قلبها بشدة حين شاهدتهما ينظران إلى لوحة على قاعدة الرسم.

يبدو ان نيكولاس سمع صوت خطواتها فقد قال ببساطة: «آه، كاثرين كنت أعرض على جوليان بعضاً من لوحاتي.»

تنفست كاثرين الصعداء حين اقتربت لتجد ان اللوحة التي يتأملانها كانت لوحة طبيعية لبحر إيجه.

www.liilas.com

قال جوليان: «اجل، انها جميلة.» لكنها ادركت انه يقول ذلك من باب التهذيب.

فذوقه يتنافى والاعجاب بأمواج بحر تتحطم بزبد هائل على الشاطىء الصخري.

«هاك واحدة أخرى.» قال نيكولاس ذلك وهو يزيل لوحة البحر واضعاً مكانها لوحة تحمل منظراً طبيعياً لبلدة سكايثوس والميناء وتابع: «أراهن انني سأجد سائحاً ثرياً لأجل هذه، الا تظنين ذلك يا كاثرين؟»

كانت عيناه ساخرتين تسخران ليس فقط منها بل من جوليان أيضاً، فأجابت بقساوة: «انا واثقة من ذلك.»

«آه، وستهتم لهذه اللوحة يا جوليان بالتأكيد، هي لم تكتمل كلياً لكن...»

«لا.» قاطعته كاثرين فجأة مدركة أي لوحة يقصد لكن نيكولاس ابتسم لها بعذوبة ساخرة.

«آه، آسف، لكنت ستبقينها كمفاجأة؟ لكن بالطبع على الرجل معرفة ما سيتلقاه كهدية زواج، أليس كذلك؟» قال ذلك ووضع اللوحة امامه.

كانت هذه هي المرة الأولى التي تراها بها وحدقت بها بعينين واسعتين، كانت جميلة، واشجار الزيتون في الخلف والأزهار حولها تتناغم مع الباقة في حضنها ومع طيات تنورتها، أخيراً تجرأت ونظرت إلى نفسها، يا للشبه الكبير، مع انها لم تكن طبعاً بهذا الجمال الفاتن.

لكن بعد كل شيء الا يجمل الرسامون ما يرسمون دوماً؟

«اظنني صورت بعضاً من كاثرين الأصلية مع ان تلك صفة واهية طبعاً، الا توافقني يا جوليان؟»

«اتظن ذلك؟» رد جوليان ونظرت اليه كاثرين فوراً بعد سماع نبرته وشاهدت احمرار وجنتيه.

«لكن... الا تعجبك؟» تساءلت كاثرين بإحباط: «اظنها رائعة.»

أجاب جوليان: «لا، انا آسف يا عزيزتي. كانت هذه فكرة جميلة لكن...»

استدار نحو نيكولاس متابعاً: «لا اظنها اعجبتني.»

سألت بذهول: «ولم لا؟ ما عيبها؟»

«حسناً، كبداية اين خاتم خطوبتك؟»

نظرت بغباء اليه وسألت: «ماذا تقصد؟»

«كنت اعتقد انها مادامت هدية زواج فكان يفترض بك وضع خاتم الخطوبة.»

استدارت بسرعة نحو اللوحة ووجدت انه على حق. فيدها اليمنى كانت تحت الباقة اما اليسرى فهي تستقر على ساقها دون ان يكون فيها أي خاتم.

«آسف، لا بد انني نسيت رسمه.» قال نيكولاس بصوت قلق لكن برؤيتها لنظرة عينيه ادركت تماماً ان الخوف كان متعمداً.

عادت كاثرين لتسأل جوليان: «لكن هل هذا هو السبب الوحيد؟ انا واثقة ان بإمكان نيكولاس إعادة رسمه، أليس كذلك؟»

لكن ردة فعله الوحيدة كانت هز كتفيه فقط. وعاد جوليان ليقول وكأنه لم يسمع كلمة مما قالت: «سأكون سعيداً بالطبع يا ديمتريوس للتعويض المالي عليك جراء تضييع وقتك.»

للحظة فقط شاهدت بريق الاحتقار في العينين الزرقاوين والذي غلف جوليان حتى الأعماق.

لكن كل ما قاله نيكولاس كان: «أخشى ان ثمن اللوحة مكلف جداً، لكن على كل حال انا واثق من انني سأجد شار آخر لها بسهولة.»

لا يعقل ان يفعلا هذا، جوليان رفض اللوحة ونيكولاس يعرض ببساطة بيعها لأول سائح يمر به، انها هي المحتجزة بين عدائهما، الا يرى احدهما ذلك؟

حدقت باللوحة إلى ان غشت الدموع عينيها مانعة إياها من الرؤية الواضحة وشعرت بموجة عارمة من التملك تعتريها وتجعلها راغبة بانتزاع اللوحة واخذها. لا يجدر باي شخص آخر الحصول عليها... لا احد.

مسحت دموعها ونظرت إلى جوليان قائلة: «ظننت انني كنت سأريك بستان الزيتون.» وغادرت الغرفة تاركة إياه ليسير خلفها.

«نسيت ان اسألك.» قالت ذلك بعصبية وهما يسيران نحو البستان قاطعة الصمت بينهما:

«ماذا فعلت بحقائبك؟»

«انها في الفندق بالطبع، حجزت غرفة لي هناك قبل مجيئي إلى هنا.»

توقفت بدهشة قائلة: «لكن هناك العديد من الغرف في الفيللا.»

«اعلم ذلك.» رد بجفاف: «لكني اعتقدت انك تفضلين ان اتصرف بلياقة، لكن يبدو انني كنت مخطئاً.»

«وماذا تعني بذلك؟»

أجابها بغضب: «انك وبكل بساطة لا تشاركيني احساسي بطريقة لائقة.»

جاهدت كاثرين للاحتفاظ بهدوئها رغم غضبها مما يلمح اليه وقالت: «انا لم اشاطر نيكولاس العواطف ان كان هذا ما تقصد، فبعيداً عن أي شيء آخر، انا مخطوبة لك، لكنك بالطبع ما كنت لترغب بتركي للفيللا ليبقى هو فيها على هواه. تعرف ما يقولون عن ان التملك هو تسعة اعشار القانون.»

«اجل، حسناً. لنتابع السير، هلا فعلنا؟»

حين وصلا إلى بستان الزيتون سارت إلى اقدم شجرة فيه وقالت: «هنا رسمت لوحتي. كنت اجلس متكأة على هذا الجذع. اهي حقاً لم تعجبك يا جوليان؟ اعرف انك لا تحب نيكولاس ولا اقول انني الومك على ذلك لكن لا تدع ذلك يفسد عليك الأمر.»

«لا، لا علاقة البتة له بذلك مع ان اللوحة من النوع الذي اتوقع منه دون شك رسمها، ان اردت ان تعرفي السبب حقاً فهو انني لا اكترث للوحة تبدو فيها زوجتي وكأنها تدعو أي رجل تنظر اليه.»

«تدعو أي رجل؟» رددت بذهول: «لا افهم ما تقول.»

«حقاً؟ ألق نظرة أخرى على اللوحة إذن في وقت لاحق. تناسي المظهر الخارجي وادخلي إلى الاعماق. اللوحة غير اخلاقية.»

«غير اخلاقية.» صاحت بصوت غاضب: «لكني ارتدي ملابس محتشمة.»

رد جوليان بصوت جليدي: «لا علاقة للملابس أو عدمها

www.liilas.com

بهذا، انظري فقط إلى العينين، التعبير كله منعكساً على وجهك.»

«انا واثقة انك مخطىء.» تابعت بصوت مرتجف: «لكن حتى وان كان كذلك فان هذا التعبير لك وحدك.»

سأل: «حقاً؟ لم اكن بالجوار حين رسمت.»

«لا، لكني كنت افكر بك.» كانت هذه كذبة بالتأكيد وتابعت بسرعة: «على كل حال انظر، من أجل هذا المنظر احضرتك إلى هنا لتراه.»

كانت شمس المساء تلقى بظلالها الشاحبة على اشجار الزيتون ومنها إلى حقل الأزهار وسط الحشائش الخضراء، حيث كان النسيم يتلاعب بالبتلات مرسلاً إياها في رقصة ملونة رائعة تنثر عبق الأريج في كل الانحاء.

نظر جوليان حوله وابتسم قائلاً: «اجل، افهم ما تقصدين لا يفترض بنا ابداً تدمير كل هذا الجمال.»

ارتفعت معنوياتها وقالت: «اذن انت تفهم؟ سيكون هذا...»

«هذه قطعة أرض لا ثمن لها.» قاطعها بحدة: «علينا اقناع ستيفن بضمها إلى خططه ومشروعه كي نستفيد منها قدر المستطاع.»

«لكن...»

قاطعها مجدداً قائلاً: «انا واثق انه سيتمكن من بناء شيئاً ما حول تلك الأشجار وان اضطررنا لجرف تلك الأزهار فسنتمكن من إعادة زرع الأرض بالبذور.»

«جرف الأزهار؟» تابعت والألم يمزق صدرها: «لكني ظننتك فهمت. هذا سيكون انتهاكاً لجمال المكان.»

حدق جوليان بها بعينين جافتين وقال: «انتهاكاً؟ هل هذه كلماتك انت أم ان احدهم كان مشغولاً بزرع رأسك بالافكار؟»

«انها كلماتي انا بالطبع.» اخذت نفساً عميقاً ونظرت اليه بثبات متابعة: «لن نبني شيئاً هنا. هذه ارضي انا، هذا ان لم اخسرها، وانا لن اسمح بتدميرها لأجل المال فقط.» ثم ابتسمت له متابعة: «قد يكون المكان لنا وحدنا فقط، يكون منزل عطلتنا. قد نقضي شهر عسلنا هنا.»

لكنه لم يبادلها الابتسام بل قال: «لا اعرف ما الذي اصابك يا كاثرين، انت لست الفتاة التي خطبتها. انت دائماً بارعة ومتزنة في العمل.»

قالت بتعاسة: «اجل، انا كذلك فعلاً، أليس كذلك؟»

«لا بد ان هذا المكان هو السبب في تبدلك. لقد فعل هذا بجدك والآن بك. كم من الوقت مضى عليك في هذا المكان؟ اقل من اسبوع وها انت تنهارين. كان يجب عليك ملاحقة ذاك المحامي ليلاً نهاراً، وطرح الاسئلة على كل من في المقهى ومعرفة كم تقاضى ذاك الشاهد لقاء إمضائه. لكن بدلاً من ذلك ماذا فعلته؟» زفر نفساً عميقاً متابعاً: «تجلسين في بستان زيتون كي يتم رسمك.»

«انا قادرة تماماً على الاهتمام بشؤوني.»

«اتظنين ذلك؟»

سألته بصوت هادىء: «وماذا تقترح ان نفعل إذن؟»

«الاستيلاء على ورقة اللعب تلك كبداية. من دونها يصبح هو ضائعاً.»

«تقصد تمزيق الورقة؟» سألت بذهول: «لكن هذا سيكون تصرفاً غير شريفاً.»

ضحك جوليان قائلاً: «اتظنين ان ذاك الحقير عديم الاخلاق لن يلعب معنا بقذارة إذا أتيحت له الفرصة؟ افتحي عينيك يا عزيزتي، في مجال عملنا عليك ان تكوني اكثر حكمة في تقييم الآخرين مما انت عليه الآن.»

«لا.» ردت: «مهما كان نيكولاس الا انه رجل مستقيم انا واثقة من ذلك.» مع ان السبب في دفاعها عنه ذاك كان شيئاً لا تفهمه.

«حسناً، كل ما بوسعي قوله انه من حسن الحظ مجيئي إلى هنا في الوقت المناسب. سنعود إلى الفيللا الآن وستوضبين اغراضك.»

«لكن لماذا؟»

«لن تقضي ليلة أخرى هناك، سأحجز لك غرفة في الفندق الذي انزل فيه، سنرى غداً ذاك المحامي، أو لا. غداً سأرى المحامي وحدي واحثه على القيام بتصرف ما، وكبداية سأحصل على طلب اخلاء للفيللا ثم مساء الغد سنسافر عائدين إلى الوطن.»

«الآن انتظر لحظة...»

قاطعها قائلاً: «كلما اسرعت بالعودة إلى لندن كلما كان افضل. ما تحتاجينه هو العودة إلى المنطق والعقل.»

نظرت كاثرين اليه للحظة طويلة، وفكرت، غريب، ما جذبها إلى جوليان من الأصل كان ديناميكية عقله المتفتح وشعورها انه سيعرف دوماً ما يريد وسيحصل عليه. وهذا مختلف تماماً عن نيكولاس ديمتريوس.

أخيراً تكلمت قائلة: «آسفة يا جوليان، لكني لن اذهب معك إلى فندق البلدة، ولن أعود إلى انكلترا معك. ولن اتابع خططات الانشاء تلك...»

رمته بنظرة حزينة وتابعت بلهجة قاسية: «وأنا آسفة جداً لكني لن اتزوجك.»

www.liilas.com
ausha 233
OLOSHEA233
www.liilas.com

الفصل التاسع

عندما عادت كاثرين من بستان الزيتون بعد ساعات، كانت اللوحة لاتزال على الحامل الخشبي، سارت كاثرين اليها وحدقت بها، كان جوليان عل حق، لكن بعرض اللوحة عليه اختار نيكولاس أرقى الطرق الممكنة لتنفيذ انتقامه.

كان ما قاله جوليان واضح للعيان لكل مشاهد، لكن وحدها هي بسذاجة لم تر ذلك. حدقت كاثرين بتلك العينين وشعور غريب مقلق يتحرك بداخلها.

«إذن فقد رحل؟»

جعلتها النبرة الرقيقة تلتفت بحدة لتجد نيكولاس متكئاً على حافة الباب.

«بالطبع رحل. وماذا كنت تتوقع؟ فبعد كل شيء هذا ما قصدته منذ البداية، أليس كذلك؟

«حقاً؟» سألها واقترب منها.

«تعرف تماماً ان هذا صحيح.» قالت بوصوت مرتجف

«أنت كرهته فور رؤيتك له و...»

قاطعها قائلاً: «اقول ان الشعور كان متبادلاً.»

تابعت كلامها بغضب: «وقررت إثارة اكبر قدر ممكن من المشاكل، لذا احضرته إلى هنا عامداً متعمداً مدركاً م سيكون رد فعله.»

«اجل، انا آسف بشأن الخاتم.»

قالت بحنق: «كلا، لست كذلك. أنت لم ترسمه عمداً. لكني لا اتحدث عن الخاتم وانت تدرك ذلك، ادركت ان جوليان سيرى في صورتي معنى لم الاحظه أنا.»

«وما الذي رآه وازعجه لتلك الدرجة.»

«ذاك التعبير المريع.» قالت وهي تشير إلى اللوحة كأنها غير قادرة على النظر اليها وتابعت: «لقد رسمت امرأة أخرى فيها، لقد رسمت ايلينا ولم ترسمني انا، رسمت وجهي لكنك حملته تعابيرها هي، كنت تفكر بها طيلة الوقت، تلك الساقطة ألا...»

«اصمتي.» قاطعها واضعاً يده على فمها واسكتتها هذه الحركة غير المتوقعة وتابع هو: «لم اكن افكر بإيلينا أو بأي امرأة أخرى حين كنت ارسمك.»

هزت رأسها بغضب وقالت: «وكيف تتوقع مني تصديق هذا؟»

«لأنني وبكل بساطة لا استطيع ابداً التفكير بمطلق امرأة أخرى وانت امامي.» النظرة الغريبة داخل عينيه جعلتها في حيرة كاملة وتابع: «هذه الصورة صورتك انت يا كاثرين، انها أروع لوحة سبق لي ان رسمتها.»

سألتها باستفزاز: «إذن لماذا كنت مستعداً لبيعها لأول سائح يطرق بابك؟»

فكرت بنفسها وجاهدت لمنع الدموع من الانهمار على وجنتيها.

لم ارسم شيئاً لم يكن موجوداً اصلاً، كما اخبرت جوليان، لقد التقطت ريشتي طبيعة المرأة الداخلية الاساسية بكل افكارها الحسية السرية.»

www.liilas.com austin233

تذكرت كاثرين الصورة التي مرت بخيالها لحظة رسمها نيكولاس وادركت ان الرجل في خيالها بتلك اللحظة كان هذا اليوناني الأسمر الفاتن الذي يقف امامها الآن وعينيه الزرقاوين تضحكان لها.

هزت رأسها بخفة وانفجرت قائلة بقوة: «هذا كذب، هذا لم يكن موجوداً. أنا لست كذلك، لست كذلك ابداً، جوليان رأى ذلك.»

«لا يا حلوتي، بل السبب بالضبط هو رؤيته لذلك وللمرة الأولى، لأن رجلاً مثله ما كان ليكتشف هذا الشيء بنفسه وهو لم يحب ما رآه، لهذا رفض اللوحة، ورفضك.»

أخذت تدور بتوتر وهي تقول: «لا، هذا غير صحيح، انا لست كذلك واقول لك هذا.»

«آه، لا تفعلي.»

اقترب نيكولاس منها ليخفف من غضبها لكن بسبب الحنان المفاجيء الذي لون صوته لم تعد اعصابها قادرة اطلاقاً على تحمل المزيد من هذا العذاب.

فانطلقت بعيداً عنه وهي تصيح بصوت عال: «اتركني وشأني تباً لك. لا اريد رؤية وجهك أو وجه جوليان بعد الآن، لقد اكتفيت.»

ثم غادرت المرسم وغادرت المنزل.

عند وصولها إلى بستان الزيتون توقفت واتكأت على جذع شجرة الزيتون، شجرتها حيث رسمها نيكولاس ودون ان تعي ذلك، بقيت هناك وهي تجاهد للتنفس بعد ركضها السريع ذاك إلى ان رأته يقترب من بين الاشجار متجها

نحوها، لماذا لا يفهم انها بحاجة للبقاء وحدها؟ استقامت وتابعت الركض.

ناداها بصوت نافد الصبر: «كاثرين.»

قالت وهي تستدير: «ارحل.» وتأوهت حين أمسكها فجأة مثبتاً إياها مكانها.

حاولت الافلات من قبضته فتعثرت قدمها وسقطت وإياه على الأرض بقوة، لحظات ثم استقام فوراً وامسكها من كتفيها مساعداً إياها على النهوض بدورها وقال: «هل انت بخير؟»

لكن القلق في صوته تزامن مع ابتسامة خبيثة فجرت غضبها.

فصاحت بأنفاس لاهثة: «بالطبع انا لست بخير، انت، انت... طلبت منك ان تتركني وشأني.»

ابعدت خصلة من الشعر عن وجهها وحدقت به بعينين حاقدتين ثم رأت فجأة الضحكة تتلاشى عن وجهه. اشتدت قبضة يديه على كتفيها وشدها اليه بعنف ورقة معاً، واحست باشتعال النيران في أعماقها ولكن التمرد كان لايزال بداخلها فنزعت نفسها من بين ذراعيه.

فقال لها برقة اذابتها: «لا تخافي، ثقي بي.»

وعاد لهيب عناقه يشعلها فهمست: «نيكولاس.»

أجابها بأنفاس لاهثة: «لا تكوني خجولة يا حلوتي، فصداقتنا القديمة تجعل خجلك دون داع.»

حدقت به ودون إنذار اضحت كل مشاكل النهار وكل التوتر والاضطراب اللذان مرت بهما لا يحتملان فعضت على شفتها السفلى بقوة لتمنع الدموع من الانهيار ولتكبح

www.liilas.com aousha233

هذا الشعور الجديد الذي اخذت تشعر به نحو نيكولاس.

وانفجرت بالبكاء فيما ذراعه حول خصرها ويده الأخرى تمسد شعرها.

اخيراً جفت الدموع وتململت قليلاً مبتعدة عنه وابتسمت بخجل قائلة: «آسفة بهذا الشأن. كان هذا اليوم صعباً جداً وكثير المشاكل.»

رفع يدها اليسرى وحدق بمكان الخاتم الفارغ ثم غمر يدها بكفيه قائلاً: «أكان الأمر بالغ السوء يا عزيزتي؟»

«لا، اجل.»

وارتجف صوتها وهي تنطق كلماتها وتذكرت غضب جوليان وتعابيره المندهشة ثم كلماته الباردة الممزقة التي قطعت اوصال قلبها كالخنجر. نظرت أرضاً وتناولت زهرة بنفسج وقالت أخيراً: «استغرق وقتاً قبل ان...»

«كيف أقنعته؟»

«اخبرته..» كانت تخفض رأسها ونظراتها تتجه نحو الأرض وشعرها يخفي وجهها فاضطر للانحناء لسماع كلماتها الخافتة وهي تتابع: «اخبرته في النهاية انه لا يمكنني ابداً الزواج من مدير مصرف.»

أجابها مستفسراً: «فهمت. ولا حتى رجل غني وذات مستقبل باهر؟»

«كنت محقاً.» تابعت: «قلت انني لن اكون ابداً سعيدة مع واحد مثله.»

قال: «حسناً، لا اظنني قلت هذا بالضبط، لكن ذلك انتهى الآن لذا لا تجزعي بهذا الشأن بعد الآن.»

ابتسم متابعاً: «لدينا اشياء أهم لنفكر بها هذا المساء.»

«مثل ماذا؟» سألته وهي تنظر اليه اخيراً عبر رموشها.

«مثل هذا يا حلوتي.»

امسك يدها وسار بها نحو الفيللا فيما قبلاته تغمرها بين الحين والآخر.

• • •

استيقظت كاثرين صباحاً ووجدت ضوء الشمس يغمر الغرفة، للحظة ظلت مكانها دون حراك تحدق بالغرفة. فتح الباب فجأة ودخل نيكولاس حاملاً صينية بين يديه.

«كاليمارا يا حلوتي الصغيرة، هل نمت جيداً؟» سألها برقة.

فأجابت: «اجل.» واخذت تتمطى بتكاسل ثم ابتسمت له.

رمقها بنظرة ملتهبة قائلاً: «لا تبتسمي لي هكذا.»

سألت ببراءة: «لماذا؟»

قال وهو يتنهد: «لأن الآن وقت تناول طعام الفطور، هذا هو السبب.»

نظرت الى محتويات الصينية وقالت: «آه يا نيكولاس، عصير الليمون؟»

قال: «بالطبع وأي شراب آخر تريدين بمثل هذا الصباح الرائع؟»

اخذ نيكولاس يطعمها بيده لقمة تلو لقمة فضحكت كاثرين وقالت: «اشعر وكأنني ملكة جمال الكون.»

فنظر اليها بحنان غريب وقال: «ولا أية ملكة جمال كون تتمتع بنصف الجمال الذي تبدين عليه بهذه اللحظة.»

www.liilas.com

تناول الكوب من يدها ثم قادها ثانية وهي تعترض بخفة وسار بها إلى غرفة الجلوس حيث اوقفها امام المرآة الضخمة هناك.

سألها: «الآن ماذا ترين؟»

وكان يقف خلفها مباشرة.

ماذا ترى؟ وما الذي سبق وقاله نيكولاس عن هذه المرآة انها تظهر حقيقة المرء الداخلية؟ بشبه ذعر، نظرت إلى صورتها في المرآة، نظرت إلى بشرتها اللامعة كالساتان، لكن تعابير الوجه هي ما استدعى انتباهها. كانت وجنتاها موردتان وتبرقان بتوهج غريب فيما عيناها...

قال نيكولاس بصوت مبحوح: «قلت انني سأرسم كاثرين الحقيقية في لوحتك اليس كذلك؟»

ورأت انها كانت فعلاً اللوحة الحية تلك.

وتبع ذلك اياماً بلا نهاية، على الشاطىء، سباحة، لعب تنس على الشاطىء، ارتياد القرية على دراجة نيكولاس النارية. كانا يتنزهان في الحقول ويتناولان الجبنة والزيتون والعنب قبل العودة بعد الظهر للفيللا.

وبدا ان وجودها هنا رائعاً ومناسباً وكأنها ولدت لتكون في هذا المكان.

وتبخرت السنوات الثمانية السابقة التي قضتها بانتظار هذا الحاضر الذي تعيشه الآن.

كانت كاثرين تستيقظ عند الصباح وهي تفكر في الماضي عندما تعرفت إليه في ذاك الصيف الذي لم يدم، لكن الآن بدل ذاك الصيف الساحر سيبقيان معاً للأبد. لكن هل هذا

ما سيحدث فعلاً؟ هذا الصيف أيضاً سينتهي. ستذبل الأزهار في بستان الزيتون وستصل رياح الخريف ومطر الشتاء. كان يقول لها دائماً: «لنفكر دائماً في الحاضر وننسى المستقبل.»

يوماً ما في ذلك المستقبل وكون نيكولاس ذلك البوهيمي الذي تعرفه تماماً سيدير لها ظهره يوماً ما قائلاً: «أراك لاحقاً.» كما فعل في المرة السابقة وسيختفي من حياتها. لا، لا مستقبل لها مع نيكولاس وهو لم يتظاهر بعكس هذا فهو لم يذكر لها يوماً مسألة بقائها هنا إلى ما بعد انتهاء إجازتها.

إجازتها؟! بذعر مفاجىء تسللت عن السرير وهرعت سريعاً إلى حقيبتها وبدأت تعبث بها بحثاً عن بطاقة السفر، بيد مرتعشة فتحت البطاقة وقرأت الجمعة في ٢١ ايار (مايو). لكن ما هو تاريخ اليوم؟ أي ايام الاسبوع هو اليوم؟ فهي باستغراقها كلياً بسعادتها مع نيكولاس كانت كمن يعيش خارج الوقت...

نظرت إلى ساعتها قرب سريرها، والتي لم ترتدها منذ ايام، وقرأت الخميس ٢٠ ايار (مايو)، وعليها ان تكون جالسة إلى مكتبها في المصرف يوم الاثنين. لديها موعد الساعة التاسعة والنصف مع من يدعي...؟ ما اسمه؟ بحثت في ذاكرتها بيأس وتذكرت. اجل، انه السيد راسو والذي كانت ستقابله بشأن القرض الذي طلبه لأجل مطعمه الجديد. وقد انهت كل الأعمال الورقية المطلوبة قبل مجيئها إلى اليونان.

كان نيكولاس في المطبخ، ابتسم لها لحظة ظهورها ولم

يلحظ كما يبدو ان قلبها كان يتحطم وقال: «هلا حضرت السلطة؟»

اجابت بحذر: «اجل، بالطبع.»

كان النهار مشمساً بسماء زرقاء وبحر فيروزي هادىء جلست كاثرين واضعة ذقنها على ركبتيها وفكرت ان كان قد مر عليها قبلا يوماً بمثل هذه الروعة، ثم لدى شعورها بنظرات نيكولاس المركزة عليها من تحت نظاراته الشمسية ابتسمت له.

كانا قد عادا إلى الفيللا واخذا يحتسيان الشاي المثلج على الشرفة حين قالت باختصار: «نيكولاس... انا سأرحل غداً.»

«اعرف ذلك.» قال ذلك وعيناه لا تعكسان أي تعبير.

«لكن كيف؟ أعني...»

«يا صغيرتي، انا اعرفك جيداً لدرجة انني اعرف ما يجول بخاطرك حتى قبل ان تنطقي بها.»

قالت بمحاولة مثيرة للشفقة للبقاء هادئة: «في هذه الحالة... ستعرف لماذا انا مضطرة للمغادرة؟»

«طبعاً.»

«ألن تحاول اقناعي بعدم القيام بذلك؟»

«وهل استطيع ذلك؟» سأل بصوت شبه سافر أعاد إلى ذهنها نيكولاس القديم الذي وجدته عند بداية وصولها للجزيرة.

«ربما.» قالت ذلك وانحنت إلى الأمام وغطى شعرها وجهها وهي تحدق بأصابعها المتشابكة.

خلع نيكولاس نظاراته واقترب منها ماسكاً يديها بين يديه وقال: «كاثرين، تعرفين ماذا أريد.»

قالت بابتسامة حزينة: «هل اعرف حقاً؟»

أجابها بحب: «أريدك قربي، اريد ان نستلقي إلى ما لا نهاية في بستان الأزهار وان ارسمك مجدداً ومجدداً مصوراً كل امزجتك وحالاتك. لكنك تعرفين أي نوع من الرجال انا، أي نوع من الحياة أحيا، لذا لن احاول اقناعك.» وحين لم تجب تابع: «والآن سنتناول وجبة خاصة في آخر أمسية لك هنا.»

شموع وأزهار، هي في ثوبها الزهري، نيكولاس في قميص أبيض، وبنطال رمادي داكن. لكن ضوء الشموع كان ضبابياً والأزهار غير واضحة بسبب الدموع التي غشت عينيها وحين احتست العصير شعرت بحرقة الغصة في حلقها.

• • •

في الصباح التالي، وفور اغلاقها لحقيبتها ظهر نيكولاس على عتبة غرفتها.

كان وجهه خال من التعبير مما جعلها تشعر وكأن خنجراً يمزق قلبها.

«طلبت لك سيارة أجرة، ستكون هنا بعد ساعة.» وابتسم قليلاً متابعاً: «لم اتخيل انك سترغبين بالذهاب إلى المطار على ظهر الدراجة.»

«شكراً لك.»

«سأعد لك الفطور.»

أحست بأنها ان حاولت تناول شيئاً ما فستختنق على الفور، فقالت: «لا، شكراً لك، لا اشعر بالجوع.»

«القهوة فقط إذن.»

www.liilas.com

حين خرجت إلى الشرفة وجدته قد حضر القهوة واحضر صحناً من الفاكهة.

«ساتركك لاحتساء قهوتك.»

وقبل ان تتمكن من الامساك بيده لتوقفه، كان قد اختفى.

وصلت سيارة الأجرة قبل موعدها المحدد وظهر نيكولاس فجأة حاملاً حقيبتها. حيا سائق السيارة ثم فتح صندوق السيارة ووضع الحقيبة فيها قبل ان يستدير نحوها.

«اذكر وعدي لك بهذا يوماً ما.» فيما حدقت بصمت به خلع ميداليته الفضية ووضعها حول عنقها متابعاً: «شعرك يعترض الطريق، استديري.»

استدارت وشعرت بأصابعه ترفع شعرها وبعد ان احكم الميدالية حول رقبتها عاد فأسدل شعرها. حدقت في الميدالية والغصة في حلقها وقلبها.

قال: «كاثرين.» وامسك بكتفيها.

«اجل يا نيكولاس؟»

«رحلة آمنة ايتها الصغيرة.»

فتح لها باب السيارة فاستقلتها واغلق الباب خلفها ثم ناول سائق السيارة الأجرة. غامرت بإلقاء نظرة إلى الخلف بعد انطلاق السيارة فوجدته يعتلي درجات سلم الفيللا، عضت على شفتها وهي تشاهده يختفي عن انظارها والدموع تلمع في مآقيها، وحين انتبهت لتحديق سائق السيارة بها عبر المرآة باستغراب وضعت نظاراتها الشمسية.

حين ارتفعت الطائرة في الجو رأت كاثرين الجزيرة

بأكملها في الاسفل، هناك كان نيكولاس، هل هو في الاستوديو الآن؟ هل هو يقف الآن والريشة بين يديه مستمعاً لصوت الطائرة؟ وحينها فقط تذكرت لوحتها التي تقبع بانتظار سائح ثري يعجب بها.

تنهدت بعمق وتململت في كرسيها واغمضت عينيها مخفية ما يعتمل بداخلها لدى رؤيتها لنظرة الشابة القلقة التي تجلس على الكرسي قربها.

www.liilas.com
OLOSEA233
www.liilas.com

الفصل العاشر

«إذن لا داع للقلق بأي شأن سيدة هندريكس.»

قالت المرأة التي بمتوسط العمر لكاثرين المبتسمة: «أجل شكراً لك آنسة تيرنر. لقد أرحت بالي بالفعل.»

«فور انهائي للحسابات النهائية سأعطيك نسخة يوم الاربعاء على ابعد تقدير.»

نهضت كاثرين ورافقت المرأة إلى خارج مكتبها. لكن الابتسامة المهنية المشرقة خبت فور اغلاق كاثرين لباب مكتبها واتكائها إليه حيث ظلت للحظات طويلة قبل ان تعود إلى مقعدها خلف المكتب.

كانت قد انسلت بضع خصل من تسريحة شعرها المرفوعة للأعلى فرفعتها عن وجهها بكف مرتعش وضغطت على جبينها باصابعها للتخلص من الألم البسيط الذي اخذت تشعر به غالباً هذه الايام. لعلها بحاجة لنظارات طبية جراء العمل الكثيف خلف شاشة الكمبيوتر، لكن وقتها لم يكن يسمح لها بالذهاب إلى طبيب العيون.

تناولت قلم رصاص واخذت تعبث به، اكانت مصيبة باختيار هذه الوظيفة وبانتقالها من لندن إلى فرع آخر اصغر في كينغزلين؟ اقنعت نفسها ان هذا يؤمن لها تجربة متنوعة ممتازة ستحسن من خبراتها. وأيضاً فهي تحب هذه المنطقة حيث سبق وقضت معظم فترة طفولتها فيها.

لذا فقد استغلت هي فرصة الهروب من التعنيف الصامت في منزلها ومن امكانية الاصطدام بجوليان عل الدوام وطلبت نقلها إلى هذا الفرع. لكن حتى رغم املها بعدم ظهور ذلك لكن حماسها للعمل، سعادتها باتخاذ قراراتها بنفسها وبقدرتها على حل المشاكل المستعصية في العمل، كل ذلك قد تبخر واختفى.

رن جرس الهاتف فرفعته قائلة: «اجل يا روزان صليه بي من فضلك... اهلاً فيليب، اجل، لقد انهيت العمل بذاك الملف تماماً، سأحضره لك على الفور، آه، وبشأن إعادة جدولة ذاك العرض الذي حدثتك عنه بوسعي اعطائك إياه صباح الاثنين... لا، لا، اطلاقاً، بوسعي العمل عليه اثناء عطلة الأسبوع... لا، لا، صدقاً سيسرني ان افعل.»

سارت عبر الطريق المحاط بالاشجار وصوت خرير مياه النهر إلى يسارها يداعب سمعها وصعدت إلى شقتها في الطابق الثالث مغلقة الباب خلفها، نهاية اسبوع آخر، بمقدورها عدم رؤية أي شخص حتى صباح الاثنين ان شاءت، الا بحال خرجت للتسوق غداً واتخذت قراراً بشأن سجادة غرفة الجلوس. هل تختار اللون الأخضر الباهت أم العاجي؟

مجرد التفكير بذلك زاد من صداعها. خلعت حذائها ثم صنعت لنفسها الشاي وبعض الخبز المحمص وجلست امام شاشة التلفاز لسماع اخبار المساء، لكن حين بدا ذلك شيئاً لا يحتمل حركت كرسيها وجلست قبالة النافذة الواسعة.

www.tutas.com

في نهاية الشارع تم افتتاح حانة صغيرة منذ ايام قليلة وشاهدت الناس ترتادها بعد يوم عمل طويل.

للحظة واحدة فقط انتابتها رغبة جامحة بتبديل ملابسها والنزول إلى الحانة والانضمام إلى الآخرين. فمشكلتها انها بدأت تنعكف على ذاتها بانعزال.

امضت الليل في أرق متواصل، كانت تستيقظ فجأة وحلقها جاف وقلبها ينتفض بقوة من اثر ذلك الحلم الذي كان يراودها دوماً.

نهضت باكراً وكانت عيناها منتفختين بسبب قلة النوم واعدت لنفسها القهوة، كان ملف إعادة الجدولة على الطاولة امامها فيما السجادة القديمة البالية منبسطة امامها على الأرض. فجأة لم يعد بإمكانها تحمل المزيد من الصمت. ارتدت ملابسها المؤلفة من بنطال جينز وبلوزة كشمير خضراء وحذاء رياضي ثم نظرت إلى نفسها في المرآة. فيما مضى لم يكن من المسموح لها وجود هكذا ملابس في خزانتها، ابتسمت لهذا تناولت حقيبتها ثم غادرت الشقة.

شاهدت اثناء سيرها ساعي البريد عند أسفل الطريق فخففت من سرعتها لا شعورياً، لكن لماذا قد يكون هذا اليوم مختلفاً عما عداه؟ فهي لم تصلها اية كلمة من نيكولاس، مجرد كلمة، لأكثر من ثلاثة اشهر الآن! في الواقع الرسالة الوحيدة التي وردتها من اليونان كانت من المحامي جونايدس معلماً إياها دون تعليق عن استلامه رسالتها بشأن الفيلا ومخبراً إياها بغموض عن وجود بعض التعقيدات بهذه القضية.

ركنت سيارتها في الموقف ووضعت عليها معطفها قبل نزولها إلى الحديقة العامة، مع ان الفصل صيف وهذا شهر آب (اغسطس) لكن بدأت رياح الخريف الباردة تهب منذ الآن. وانقبض قلبها لرؤيتها رمال البحر الذهبية الباهتة والمياه الخضراء على طرف الحديقة.

لطالما كانت تنتظر الصيف بفارغ الصبر وهي طفلة كي تأتي إلى هنا وتشاهد هذا المنظر. ولا زالت تذكر نفسها بشعرها الطويل وفستانها الأبيض النظيف وكلساتها البيضاء حتى الكاحل وهي تمسك الدلو البلاستيكي والمجرفة.

سارت لساعة أو اكثر على طول الشاطىء غير شاعرة بطيور النورس المحلقة فوق رأسها، ثم شاهدت صدفة ضخمة عند قدميها فانحنت والتقطتها واخذت تقلبها بين اصابعها.

تذكرت يوم فتح لها جدها خزانته وناولها صدفة مشابهة لهذه قائلاً: «اذا وضعتها على اذنك فيمكنك سماع صوت البحر.»

الآن قامت كاثرين بذلك وفوراً طرق سمعها صوت تكسر امواج البحر المتوسط على شاطىء يوناني حيث هناك رجل وامرأة يتهامسان على الرمال الذهبية...

وفجأة عرفت الحقيقة. لقد اتت إلى هنا بحثاً عن السلام الذي كانت تشعر به قبل مقابلتها لنيكولاس، وقبل تحطم قلبها. لكن لا فائدة من ذلك، فبإمكانها الهروب منه، بإمكانها الافتراق والابتعاد عنه إلى آخر العالم لكنه سيبقى في قلبها دوماً لأنه وبكل بساطة يعيش داخلها، هي تحبه، تحبه بقوة

وها هي تذبل وتذوي بعيداً عنه، بالرحيل بعيداً عنه كانت تسعى للأمان الذي اعتقدته ما يهمها اكثر من أي شيء آخر. حصلت على الأمان الآن لكنه دون أي معنى من دون وجود نيكولاس قربها.

سارت وهي تغرز قدميها العاريتين في الرمال متجهة إلى سيارتها وبرأسها فكرة معينة...

• • •

انزلتها سيارة الأجرة اسفل التلة، حملت كاثرين حقيبتها الصغيرة وصعدت الطريق المتعرج وهي تردد ما ستقوله له.

لكن لنفترض انه لم يكن بمفرده؟ هزت هذه الفكرة اعماقها، قالت لنفسها انت حمقاء اتعلمين ذلك؟ ماذا ستفعلين بحال وجدته مع امرأة أخرى، مع ايلينا مثلاً؟

للحظة فكرت بالاستدارة والهروب. لكن لا، لقد هربت في المرة الماضية لأنها لم تكن شجاعة كفاية لمواجهة الحقيقة، لذا فقد تابعت الآن طريقها صعوداً بحزم.

لم يكن من احد في الفيللا. كان الباب مقفلاً والنوافذ موصدة وقد مد العنكبوت خيوطه على احد النوافذ، فيما انتثرت بعض الأوراق الصفراء على أرضية الشرفة، لم يأت نيكولاس إلى هنا منذ اسابيع لربما لم يأت إلى هنا طيلة الصيف.

دمعت عيناها لفكرة اهمال الفيللا وتركها مهجورة هكذا، تذكرت فجأة مكان المفتاح الاضافي فتوجهت إلى أص الزهور أسفل الشرفة وتناولت المفتاح من تحته.

دخلت المنزل وضعت حقيبتها في المطبخ ثم اخذت تفتح كل باب ونافذة في المنزل.

كان الاستوديو تماماً كما تركته، حتى ان رائحة الألوان لا زالت بداخله. كانت صور ايلينا موجودة هناك لكن صورتها لم تكن موجودة، فشعرت كاثرين بالغصة في حلقها لإمكانية تنفيذ نيكولاس لتهديده ببيعها لأول سائح ثري.

استدارت بألم ودخلت غرفة نومه، كل شيء كان مرتباً في الغرفة ومنظماً. عضت على شفتها ثم ذهبت إلى غرفة نومها وتكورت على الفراش.

سيعلم نيكولاس على الفور انها هنا، لعله يعرف ذلك منذ الآن، ان أراد المجيء، ان لم يكن الأوان قد فات، فسيأتي بالتأكيد. ثم غرقت في سبات عميق دون احلام...

أتى صباح اليوم التالي، كانت قد نامت لأكثر من اثني عشر ساعة ثم استيقظت، استحمت وارتدت فستاناً هندياً من الموسلين وخرجت إلى الشرفة بعد قليل رأت نيكولاس يتقدم بخطوات سريعة نحو الفيللا.

توقفت على قمة السلالم بوصوله لأسفلها ونظرا إلى بعضهما بصمت للحظات، كان يرتدي بذلة زرقاء وقميصاً ابيض، بدا وجهه نحيلاً ومتعباً. تسنى لها الوقت لملاحظة ذلك فقط قبل ان تقول باندفاع: «مرحباً يا نيكولاس. قد عدت.»

نزلت السلالم سريعاً وارتمت بين ذراعيه. ضمها بقوة ووجهه مدفوناً في شعرها لكنه في النهاية ابعدها عنه برفق ونظر إلى وجهها.

سألها: «اخبريني لماذا عدت يا كاثرين.»

حدقت به مجيبة: «لقد عدت يا نيكولاس لأنني احبك.»
وحين لم يجب تابعت: «اعرف تماماً الآن ان حياتي لا معنى لها من دونك.»

«لكن معي قد تكون حياتك فوضوية وغير مستقرة، ايمكنك مواجهة ذلك يا كاثرين... عدم الأمان سنة تلو سنة؟»

«اعرف فقط انه لا يمكنني العيش من دونك.» وابتسمت له متابعة: «انا أستبق الأمور، أليس كذلك؟ انت لم يسبق لك ان قلت لي انك تحبني.»

حين لم يجب اجبرت نفسها على المتابعة بسرعة: «عدت إلى انكلترا لأنني كنت خائفة. كان الأمر كالحلم هنا اردت البقاء هنا بشدة، لكن جزءاً صغيراً مني كان يرتجف بذعر لفكرة قضاء بقية ايامي مع فنان مكافح عديم المسؤولية.»

«بدل الاستمتاع بالحياة التي يؤمنها مدير مصرف بمستقبل واعد؟» كانت السخرية الخفيفة تلمع في عينيه بخفة وهو يتابع: «لكنك عدت.»

«أجل» ردت ببساطة: «لأكون سعيدة لمجرد وجودي قربك ومعك. هذا... اذا كنت لاتزال راغباً بي.»

«آه يا حبيبتي الصغيرة.» قال ممسكاً بيديها وتابع بصوت مبحوح: «سامحيني، لو تعرفين فقط كم كلفني وداعك والسماح لك بالذهاب بتلك الطريقة... كم كان صعباً علي رؤيتك تذهبين دون معرفة سواء ستعودين أم لا وانا احبك بهذا المقدار الهائل.»

«تحبني؟»

«يا فتاتي الحبيبة اظنني احببتك منذ كنت في السادسة

عشرة، مع انني احتجت إلى ثماني سنوات لإدراك ذلك.»

«وانا أيضاً.» ردت برقة: «لكن الآن، اظنني نضجت اخيراً.»

ابتسم لها بسعادة وقال: «واصبحت امرأة اكثر جمالاً مما كنت اتخيل، يا حبيبتي الرائعة، لا تتركيني ثانية ابداً. كاد الانتظار ان يقتلني رغم معرفتي الاكيدة بضرورة ان تكوني حرة كي تتخذي قرارك. انا رجل صبور جداً...»

«حقاً؟» قاطعته وهي تنظر اليه بحب وشغف.

«أجل، حقاً. لكني كدت اسافر إلى انكلترا لخطفك وحملك ثانية إلى هنا بالقوة بحال احتجت لذلك.»

همست بحب: «كان هذا ليكون جميلاً.»

«كنت لآتي إلى كينغزلين و...»

صاحت بذهول: «كينغزلين؟»

«آه، اجل، لدي معارف في انكلترا يبقوني على اطلاع دائم حول آخر اخبارك.»

«لكن لماذا؟»

«حسناً، قد لا يخطر هذا ببالك. لكن تبعاً لما حدث بيننا فأنا احبك واريد ان اتزوجك.»

«تقصد... هل أنت متأكد؟»

«بالطبع، آه، كارتبينوس، اغابينوس، كارتيامو.»

«ماذا يعني ذلك؟»

«حبيبتي، حبي، قلبي.»

«كارتبينوس، اغابينوس، كارتيامو.» تابعت بتردد: «هل هذا صحيح؟»

www.dvd4arab.com

«بالتأكيد.» لكن عادت الجدية إلى عينيه وتابع: «هل أنت مستعدة للقبول بالزواج مني؟»

«آه، اجل يا نيكولاس.» هتفت والسعادة تطل من عينيها.

«وبحال نضب نبع السواح الأثرياء؟»

«سيكون علينا العيش بتناول الخبز والجبنة، أو لعلنا سنضطر لبيع ساعتك الثمينة تلك.»

امسك بيدها وقال: «أو هذا السوار. أو الميدالية التي حول رقبتك؟»

«لا، ابداً.» هتفت وهي تضع يديها على رقبتها بحماية وهي تضحك.

«لا بأس، لربما لا حاجة لكلتا التضحيتين.»

اختفت ضحكته وقال بجدية تامة: «كاثرين. اظنك تريدين حفل زفاف ضخم في لندن؟»

«لا.» ردت ببساطة: «انا اريدك انت فقط.»

ضحك بانتصار قائلاً: «إذن سنتزوج في اثينا في... في اي يوم نحن؟ الثلاثاء؟... سنتزوج يوم الجمعة.»

«آه، اجل، يا نيكولاس.»

«لكن حتى ذلك الوقت. أنت تحت حمايتي، لهذا سآخذك إلى شقة والدّي في اثينا الآن فوراً.»

حدقت به بذهول. ما الذي حل بنيكولاس المشاغب؟

«اين حقائبك؟ اخبروني انك احضرت حقيبة واحدة.»

«اخبروك...؟ آه، لا تقل لي، وكالة انباء سكايثوس السريعة؟»

«بالطبع.» رد بمرح: «صديق في أيام الدراسة يعمل في قسم الأجانب في المطار.»

قالت وهي تضحك: «كنت لأعرف ذلك. لم أدرك انني كنت وحدي بمواجهة كل شبكة اخبار ابناء سكايثوس.»

• • •

رافق نيكولاس كاثرين عبر الممر الرخامي.

سألها: «لا بأس؟»

فردت بأنفاس لاهثة: «اجل انهما رائعان.» فقد استقبلها اهل نيكولاس بحب وترحيب وكلمات الوالدة السريعة تغمرها ونظرات الوالد بعينيه الشبيهتين لعيني نيكولاس تضحك لها.

بعد انتهاء الغداء صعد نيكولاس بها إلى الطابق العلوي في المبنى الموجود بواحد من افخم احياء اثينا وحيث تسكن العائلة في الطابق الثالث. غادرا المصعد وفتح نيكولاس باب الشقة وانحنى لها بمرح كي تدخل. ذهلت كاثرين من روعة المكان بالداخل، من الألوان المتناسقة، إلى الأثاث الرائع المتنوع بين الطرازين الحديث والقديم، إلى النوافذ الضخمة الزجاجية التي كانت تظهر معظم اثينا في الأسفل وكذلك الاكروبولس الرائع. سارت إلى إحدى النوافذ ونظرت خلالها بإعجاب ثم استدارت لتجده يحدق بها.

قالت ببطء وشبه خوف: «انا لا افهم، هذه الشقة...»

«لي.»

«تقصد انك استأجرتها.»

«ليس تماماً.» قال مقترباً منها وممسكاً بيديها ثم اجلسها على الكنبة البيضاء الجلدية متابعاً: «علي

الاعتراف لك بشيء، فكما ترين انا لست رساماً بالفعل.»

«لكنك كذلك وانت رسام بارع أيضاً.» وضعت يدها على كتفه متابعة: «بل انت احسن الرسامين جميعاً.»

ابتسم لها ومسح وجنتيها باصابعه قائلاً: «انا لم اقصد ذلك بالضبط، كما وانني لم استأجر هذه الشقة بل انا مالكها ومالك البناء بأكمله.»

«آه.» شهقت وقد شحب لون وجهها وجحظت عيناها فتابع هو: «وانت قلت لجوليان انك لا تستطيعين ابداً الزواج من مدير مصرف؟»

«اجل.»

«حسناً.» صمت للحظات ثم تابع: «ما رأيك في الزواج من رئيس احدها؟»

«رئيس ماذا؟»

«مصرف تجاري عالمي.»

الفصل الحادي عشر

«تقصد... انك...؟» سألت بذهول وعدم تصديق دون ان تتمكن من متابعة الكلام. وحين طأطأ رأسه موافقاً عادت فسألته: «مصرف كبير؟»

أجابها مبتسماً: «واحد من اكبر المصارف العالمية.»

قالت وهي تشعر بألم غريب يغمر قلبها: «لكن لماذا لم تخبرني يا نيكولاس؟»

«سامحيني. أنا على الأقل لم اتعمد خداعك، ليس في البداية، لكن حين بدأت مسألة الفيللا تلك استغليت الفرصة لأخذ استراحة من العمل، الاستراحة الأولى لي منذ ثماني سنوات.»

«أي منذ...؟»

«هذا صحيح. منذ ذلك الصيف انهكت نفسي كلياً في العمل، لبناء المصرف وشق طريقي عبره، راحتي الوحيدة كانت الرسم لكن حتى انا شخصياً بدأت افكر بضرورة الإبطاء قليلاً من سرعة العمل، لذا عدت إلى موطني الأصلي، إلى جذوري، إلى سكايثوس حيث كنت اكتشف للتو ما كدت أنساه، ان هناك اشياء أخرى في الحياة غير ملاحقة السلطة والثروة، ثم وصلت انت، واعتبرتني... ما كانت كلمتك بالضبط؟ اجل اعتبرتني فناناً عديم المسؤولية وانا لم ارغب بتخييب ظنك بي.»

«لكنك كنت تبيع لوحاتك في ذلك المعرض.»

www.liilas.com ausha 233
OULOUSSEA233
www.liilas.com

«انه ليس أي معرض.» تابع وقد شعر ببعض الذنب: «انه في الواقع معرضي وملكي.»

«فهمت.» تمتمت بصوت خافت وعادت فرفعت نظرها اليه متسائلة: «لكن ماذا يا نيكولاس؟»

«ارجوك حاولي ان تفهمي يا حلوتي. مع انه من اللحظة التي وقعت فيها عيناي عليك ادركت انني رجل ضائع الا انه كان علي التأكد منك. بدوت مصممة كلياً على الحصول على الأمان المادي على كل الاشياء التي باستطاعة جوليان تأمينها لك. وادركت حينها انه اذا كان علي الفوز بك واخذك منه فيجب ان يكون ذلك لأجل شخصي انا لا لأي شيء آخر.»

قالت: «هذا صحيح. كنت ضائعة، أرى ذلك الآن، لكن المسكين جوليان لم تكن له ادنى فرصة امامك.»

اجابها ضاحكاً: «المسكين جوليان؟ حين وصل كنت مذعوراً منه.»

«لهذا تصرفت بفظاظة معه.» قالت له بابتسامة مشعة: «لكن لم يكن من داع لذلك، كنت غارقة بحبك حتى رغم عدم ادراكي لذلك حينها.»

«الآن وقد عرفت الحقيقة اتظنين بمقدورك نكث وعدك بعدم الزواج من مصرفي ابداً؟»

«حسناً، عليّ التفكير بذلك. لست فعلاً...» بدأت بإغاظة لكن حين شدها نيكولاس اليه بغضب مصطنع تابعت بضحك: «اجل، اجل اظنني سأقوم باستثناء في حالتك.»

«آه، يا حبيبتي الصغيرة.»

ابعدها نيكولاس عنه قليلاً ناظراً إلى ساعته وقال: «سامحيني يا حبي لكن عندي اجتماع عمل بالغ الأهمية لا

استطيع الغائه ولا حتى لأجلك. فقد وصل ممثلون للمصرف من طوكيو وقد اخرت موعدهم السابق معي لليوم فور معرفتي بوصولك إلى سكايثوس. سأذهب للقائهم الآن ولدى عودتي سننزل معاً لشراء خاتم الزواج. الآن تعالي وساعديني في البحث عن ملابس مناسبة للاجتماع.

وقادها إلى غرفة نومه المجاورة والمؤثثة بشكل رائع وبلوني الأخضر الغامق والعاجي، لكن ليس السجادة الافغانية الرائعة هي من جذب نظرها ولا غطاء السرير الحريري بل اللوحة الضخمة المعلقة على الجدار قبالة السرير. استدارت نحو نيكولاس بعينين براقتين ساحرتين.

فقال برقة: «انت لم تعتقدي فعلاً انني قد أبيعها، أليس كذلك؟ يا عزيزتي، احتجت إلى هذه اللوحة كي تؤنس وحدتي اثناء اشهر الانتظار الطويلة.»

فتح خزانة ملابسه بعد ذلك وقال لها: «بإمكانك اختيار ملابسي الآن، لديك ذوق رائع بكل شيء وخاصة باختيار الأزواج، آخ.» صاح حين ضربته بخفة على رأسه وتابع: «والآن ما رأيك؟»

نظرت إلى البذلات الرسمية الكثيرة داخل الخزانة وقالت: «حسناً، قميص حريري أبيض، وهذه البذلة... لكن أي ربطات العنق اختار؟»

ضحك نيكولاس وقال: «اختاري المناسب فيما انا استحم.»

قال هذا وغادر الغرفة ضاحكاً. سألها بعد ان انتهى من ارتداء ملابسه: «هل منظري أنيق؟»

www.liilas.com aisha 233

ردت بثقة: «بكل تأكيد.»

«هل أنت سعيد يا سيد ديمتريوس؟»

«اجل.» رد نيكولاس وهو يقبل يدها وسألها: «سعيدة يا سيدة ديمتريوس؟»

اجابته بابتسامة مشرقة: «جداً جداً لدرجة لم اشعر بها من قبل أبداً.»

كانت تجلس على إحدى كراسي الخيزران على الشرفة في الفيللا.

«لا تتحركي.» قال واخذ يبعد خصلات شعرها عن جبينها وسقطت بعض حبات الأرز على ثوبها فتناول احداها قائلاً: «الخصوبة في الزواج، هذا معنى الأرز اليس كذلك؟»

ردت بدلال: «هذا ما سمعته بدوري.»

«لكن ماذا عن الوظيفة التي اريدك ان تستلميها في فرعنا الانكليزي؟»

«لا يوجد مشكلة، أليس كذلك؟»

نظر إليها بحنان قائلاً: «آه يا كاثرين، كم احبك.»

«وأنا أحبك بشدة يا عزيزي.»

«وماذا عن والديك؟» سألها: «هل تظنين انهما سيحباني بدورهما؟»

«أجل.» ردت بصدق: «اظنهما سوف يقتنعان بزواجنا شيئاً فشيئاً نظراً لأن صهرهما واحد من اغنى الرجال في اليونان.»

قهقهت متابعة: «لا اظن امي صدقت ذلك بالبداية لكن الرخام والذهب في جناح الضيوف خاصتهما في شقتنا هو ما اقنعها بذلك. آه، وهذا أيضاً، بالطبع.»

رفعت يدها اليسرى مظهره خاتم الألماس الضخم اللامع تحت اشعة الشمس.

سألته: «وماذا عن والديك؟»

«آه، انهما سعيدان لنجاح خطتهما.»

«أية خطة؟»

«افصح عنها والدي هذا الصباح قبل انطلاقه لاتمام مراسيم الزفاف، يبدو يا حبيبتي انني لست الفنان المحتال الوحيد في العائلة، فقد تم الايقاع بنا نحن الاثنين معاً.»

«لكن كيف؟»

«الخلاف بشأن الفيللا، لم يكن هناك من خلاف اصلاً.»

حدقت به بذهول واستقامت في جلستها قائلة: «تقصد الرهان لم يكن من رهان اصلاً؟»

«لا، لقد حدث الرهان بالفعل وكما سمعنا عنه تماماً. لكن لاحقاً توصلا معاً للاستفادة من ذلك اتذكرين مجيء جدك إلى انكلترا قبل وفاته؟»

«طبعاً.»

«عاد بمعلومات افضى بها سرا لوالدي، أول المعلومات ان العيادة التي ارتادها هناك اكدت له ما يشعر به وهو امكانية استمراره على قيد الحياة لسنة أخرى على الأغلب بسبب مشاكله القلبية.»

وحين ترقرقت الدموع في عيني كاثرين احاطها بذراعيه مربتاً على يدها بحنان.

سألته: «وما هي المعلومات الأخرى؟»

«ان شعلة الاختلاف التي اكتشفها فيك قد تم اطفاءها على يد والديك وجوليان. وفي الوقت ذاته كان والداي

قلقين من عدم استقراري كما يقولون لذا فقد اتفقوا على مسألة الخلاف بشأن الفيللا، وجدك بالطبع كتب وصية جديدة تمت على يد محامي أبي في اثينا، فما كان بالامكان اشراك ستافروس جونايدس بهذا نظرا لرفضه القطعي لذلك.»

«لكن كيف كان لهذه المسألة جمعنا معاً؟ فكل ما فعلناه هو الاقتتال كالقطة والفأر.»

«أملا فقط انه بعد انتهاء الاقتتال فيما بيننا ستعود تلك الشعلة القديمة للاشتعال مجدداً.»

«مجدداً؟ تقصد انهم عرفوا بشأننا منذ المرة الأخيرة؟»

أجابها بسعادة: «اجل، كان جدك يراقبك بحذر ويراقبني بشدة دون ان يعرف احدنا ذلك. وبالنسبة لوالدي فقد شاهدا ما احتجت ثماني سنوات لأراه وهو انه منذ تلك اللحظة التي خرجت فيها الى تلك الحورية الجميلة من البحر واقتربت مني لم يعد في حياتي متسعاً لأية امرأة أخرى ابداً.»

«آه، يا نيكولاس.»

قال: «هيا، لنذهب إلى فيلتنا.»

«اجل، فيلتنا... آه، لقد تذكرت للتو، اتعلم انني كتبت للسيد جونايدس اخبره انني تنازلت عن الفيللا لك؟»

«اجل.»

«فأجابني ان هناك بعد التعقيدات، اتعرف ما هي تلك التعقيدات؟»

قهقه قائلاً: «اظن ذلك، فكما ترين يوم وصول رسالتك بالضبط كنت في مكتب جونايدس لإخباره عن تنازلي عن الفيللا لك.»

«لكن لماذا؟»

قبلها بخفة واجابها: «لأن هذا المنزل يا حبيبتي مهما كان جميلاً فهو مجرد مكان فارغ من دونك.»

نهضا بأيد متشابكة وسألته كاثرين: «هلا ذهبنا إلى بستان الزيتون؟ فقد مر وقت طويل منذ شاهدته آخر مرة؟»

لكن بعد دقائق بوصولهما اليه نظرت كاثرين حولها قائلة: «آه، لا، لقد اختفت كل الأزهار.»

فطمأنها بصوت حنون: «ستعود للظهور السنة القادمة، فهي تفعل ذلك دوماً، انظري.»

انحنى ملتقطاً زهرة بنفسج وحيدة وناولها إياها.

فقالت برقة: «اتعرف طيلة فترة غيابي، كنت احلم كل يوم بوجودي هنا.»

رفع حاجبه بإغاظة وسألها: «آه، وماذا كنت تفعلين يا ترى؟»

ضحكت واحمرت وجنتاها مجيبة: «لست واثقة من ضرورة اخبارك بذلك.»

«لربما بعض ما كنت اراه أنا في احلامي.» ابتسم لها بخبث متابعاً: «لكن من الذي يحتاج إلى الأحلام الآن فيما نحن نعيش في الواقع؟»

رفع وجهها اليه وحدق بعينيها متمتماً باليونانية.

فسألته: «ماذا يعني ذلك؟»

هز رأسه قائلاً: «عليك تعلم لغتي واكتشاف ذلك بنفسك.»

فردت بحماس: «بالطبع سأفعل. بوسعك اعطائي درسي الأول الآن.»

«آه، لا. ليس الآن. لربما في المستقبل.»

www.liilas.com

فيما عاد صوت العندليب الرائع يصدح في الاجواء كان الزواجان السعيدان قد غرقا في عالم الحب والشوق والسعادة ترفرف حولهما وتغني لهما مع اوراق اشجار الزيتون...

تمـــت

www.liilas.com
ousha 233
OUSHA23
3
www.liilas.com